

الافتتاحية

الحق والباطل

لا يستطيع كاتب يكتب في شأن من شؤون المسلمين أن يتجاوز المحنة التي يعاني منها المسلمون في البوسنة والهرسك، هذه المحنة التي أقضت مضاجع المخلصين الذين يتحرقون ألماً لما يجري هناك، فبذلوا ما في وسعهم من العون المادي والمعنوي، ولكن أنى لهذه الجهود المتواضعة أن ترد عادية الصرب الصليبيين، أو ترد مكر الغربيين الذين سكتوا عن الجرائم المروعة التي تمارس ليل نهار على مسلمي البوسنة، وهم يرونها في وسائل إعلامهم، ولكن بما أن الضحايا مسلمون فالخطب يسير!

تفتحت عبقرية الصرب العنصرية ، وظهر الحقد الدفين المتراكم منذ أن انتصر العثمانيون عليهم في معركة «كوسوفو» وحكموا هذه البلاد. وظهرت أوربا على حقيقتها في تعاملها مع المسائل التي تمس المسلمين، وهي السياسة نفسها التي كانت تسلكها مع ما يسمى بـ (المسألة الشرقية) وعادت المسألة الدينية واضحة جليلة عند اليونان والرومان والروس الذين يساعدون الصرب سرّاً وعلناً ، بالأسلحة وغير الأسلحة، وما ذلك إلا لاتحادهم في المذهب الأرثوذكسي. وتفتحت شهية الغرب على إعادة رسم خريطة العالم الإسلامي وبمزيد من التفتيت ، ولم يكفهم ما فعلوه بعد الحربين العالميتين من تقسيم وتقطيع، وسيكون التفتيت في هذه الأيام على أساس العرق أو التعصب الطائفي ، فكانت فكرة المحميات في العراق ، ويتكلمون الآن عن جنوب السودان، ووضعت الصومال تحت حماية الأمم المتحدة، والمخطط ينفذ وليس من قوة تعترضه ، والغرب الذي يشجع هذه العصبية يسعى هو إلى الوحدة بشتى صورها وأشكالها.

أنى للمسلمين في هذه الأيام مقاومة هذا التوحش الصربي وهذا المكر الأوربي وهم مقهورون في ديارهم وأوطانهم ، يعانون الخسف والهوان من أبناء جلدتهم وممن يتكلمون بلغتهم ، وهل يستطيع المسلم في تونس أو الجزائر تقديم العون لأخيه في البوسنة وهو يعاني ما يعاني من ظلم تندك له الجبال، والإخوة في أفغانستان لم يستقر لهم قرار ، ودخل بعضهم في دهاليز السياسة والحسابات الدنيوية والتحالفات المشبوهة مع (البرشيين) و(الخليين) و(الباطنية) وفروخهم الإسماعيليين). ونخشى إذا استمر بهم هذا الحال من التفرق أن يذهب الأمر من أيديهم - لا سمح الله-.

هذه الأوضاع المؤلمة التي تمنع المسلمين من مساعدة إخوان لهم في البوسنة تفرض علينا سؤالاً ملحاً - وإن لم يكن جديداً :- إذا كان المسلمون على الحق وغيرهم على الباطل ، فما الذي دهاهم وأوصلهم إلى هذه الحال ، حتى أصبحوا طعمة لكل طامع ونهبة لكل ناهب ، تتناوشهم المصائب من كل مكان ، وتتعاورهم المشاكل من كل جانب ، هل فعلوا كل الأسباب الواجبة شرعاً ولكنهم لم يوفقوا ؛ أم أنهم مقصرون بل ومستهترون في الأخذ بهذه الأسباب ، ولذلك لم تأت النتائج المطلوبة؟! إن من سنن الله في الخلق أن للباطل جولة وللحق جولات ، ولا يسلط الله أعداءه على أوليائه ((وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا)) [النساء: ١٤١]، وإذا تصارع الحق والباطل فالغلبة للأول قال تعالى : ((كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)) [الرعد: ١٧] ، وقال أيضاً: ((أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي

(الأرض)) [ص: ٢٨]، وقال : ((بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)) [الأنبياء: ١٨].

إن تسلط أوربا على العالم الإسلامي هذه الفترة الطويلة دليل على أن هذه الأمة لم تأخذ بأسباب القوة والعزة والاستقلال ، وقد أكثر القرآن الكريم من الحديث عن سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول في الذين يظلمون وفي الذين يعدلون ، وأن العاقبة للتقوى ، ولا يوجد كتاب في الدنيا تكلم عن السنن الاجتماعية مثلما تكلم القرآن ، ومع ذلك تجد المسلمين أقل الناس أخذاً بهذه السنن ، بل وربما وصل الأمر ببعضهم أنه إذا تكلم بهذا الموضوع وحاول إبرازه رُمي بالبعد عن الدين ، وأنه يتكلم في أشياء ليست من الإسلام أو أنه يقلد أفكار الآخرين.

هكذا وصل بنا الحال إلى أننا لا نستفيد من حكمة القرآن وإرشاده في صراعنا مع الأمم الكافرة وفي تنظيم حياتنا الاجتماعية ، ونفهم آيات البعد عن الدنيا فهماً خاطئاً أخذناه عن الزهد الأعجمي الذي دخل علينا مبكراً فكان له الأثر السيئ في عدم إذكاء جذوة الصراع مع الباطل ، وأنه لا بد من الاستعداد الدائم والتمكن في الأرض حتى لا يروج سوق الباطل ويفسد في الأرض.

إن أحق من يفقه هذه السنة الربانية ويأخذ بها هم الدعاة والعلماء ، الذين يصعب الآن جمعهم على مائدة الحوار والتعاون أمام الباطل المنتفش ((فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ)) [هود: ١١٦] .

في إشراقة آية (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا))

د. عبد الكريم بكار

كان من جملة تسخير الله - تعالى - الكون لهذا الإنسان أن بث فيه سنناً تتسم بالاطراد والثبات والشمول. وهذه السنن مبنوثة في الكون والأنفس والمجتمعات. وإن وجود السنن رحمة من الله - تعالى - بنا ؛ إذ أننا تمكنا بسببها من اختصار كثير من الجهود التي كان علينا أن نبذلها لفهم ما حولنا والتعامل معه. ولنتصور أن قانون إحراق النار، أو قانون الجاذبية، أو قانون تغير الحال إلى الأحسن أو الأسوأ تبعاً لجهد الإنسان وسلوكه لم يكن ثابتاً ولا مطرداً فكيف ستكون الحال إذن؟! ومظهر آخر للرحمة في اطراد السنن هو أن التحول في أكثر الظواهر الاجتماعية يتم ببطء ؛ وعمر الإنسان قصير إذا ما قيس بعمر الحضارات ؛ مما يجعله يبصر مقدمات الحدث دون نتائجه ، ونتائجه دون مقدماته وأسبابه. وحينئذ فإن من السهولة بمكان أن يصاب المرء بغيش الرؤية وضلال الأحكام.

والسنة بتجسييرها للعلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل جعلت في إمكان المسلم أن يعرف النتائج من خلال الوقوف على الأسباب ، والمقدمات من خلال رؤية نتائجها ، أي جعلت الأزمنة كتلة واحدة ، وهي بهذا الاعتبار تكون قد أمنت للمسلم نوعاً من التواصل عبر حقبة الزمان المختلفة ، فالماضي لم يغادرنا حتى ترك في حاضرنا ثقافة عصرنا وصفات وراثية محددة وظروفاً توطر مساحات حركتنا اليوم. إن الماضي سيظل يظهر في الحاضر بصورة ما ، وإن الحاضر سيظل يظهر في القابل بصورة ما ، وإن فيزياء التقدم عبارة عن حديث الحاضر مع الماضي عن المستقبل.

السنة : إلتحام بكل الأبعاد ..

إذا كانت السنة هي الناموس العام الذي يؤمن الاستقرار والانسجام بين جزئيات الظاهر الواحدة إذا ما توفرت بعض الشروط الموضوعية فإن هذا يعني أن المسلم مأمور بعبور الماضي ليفهم جذور حاضره ، ومأمور بتجاوز الحاضر ليمد النظر نحو المستقبل ؛ كيما يفقه الخطوة المناسبة. ونجد نصوصاً كثيرة في هذا الأمر ، كقوله سبحانه : ((قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)) [آل عمران: ١٣٧]. وقوله سبحانه : ((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [العنكبوت: ٢٠] . إنها دعوة للسير في الأرض والخروج من سجن المكان المألوف لرؤية خلق الله وإبصار سننه فيه. وبما أن المكان يرث دائماً الزمان فإننا سوف نبصر من خلال السير في الأمكنة الكثير من الأزمنة الماضية وما خلفته لنا من آثار خلق الله تعالى.

وقد كانت هذه الأمة تحتل في يوم من الأيام مكان الصدارة بين الأمم ؛ فإذا بها تبحث عن مكان في الذيل ، فلا تجد ! والخطوة الأولى نحو استعادة بعض ما فات تتمحور حول بحث الأسباب التاريخية التي أدت بنا إلى هذه الحالة المنكورة. وهذا يعني أن علينا أن نثابر في قراءة التاريخ المرة تلو المرة حتى نقف على جذور الواقع الذي نعيشه إذا ما كنا جادين في تغييره نحو الأحسن.

إن ظواهر كثيرة في حياتنا ستظل غير مفهومة ما لم نعد إلى جذورها العميقة الضاربة في القدم ؛ فإذا ما نظرنا - مثلاً - في ظاهرة «ذل المسلم وخضوعه» لم نستطع أن نفهمها ما لم نعد إلى الماضي ، فإذا عدنا رأينا ما يسوّغ ذلك ، فقد صُب عليه من صنوف التعذيب النفسي والجسدي ، ومن صنوف الإذلال والإهانة وسياسة «اسحق الذبابة بالمطرقة» ما لا يفرز إلا مسلم اليوم! ذلك باستمرار باسم المصلحة العامة وأمن الأمة والاستقرار العام!! لكن لا بد من القول إن انفتاح العالم على بعضه حتى تحول إلى «قرية إعلامية» - كما يقولون - قد جعل فهم الواقع اليوم أكثر تعقيداً. والسبب أن جزءاً من هذا الواقع هو الذي يمكن مسّهُ ، أما الباقي فجذوره وخيوطه ربما كانت خارج أروحي المسلمين كلها!!

لكن مهما يكن من أمر فإن السنة ترسم لنا المسار العام إن لم نتحفظاً بالتفاصيل.

السنة وعلوم المستقبل :

هناك اليوم حركة محمومة في الغرب لدراسة المستقبل ، حتى صار لديهم علم اسمه «علم المستقبل» . وهم يصنفون المستقبل إلى مباشر ، وهو يغطي مساحة زمنية قدرها عام ، ومستقبل أقرب وهو يغطي مساحة قدرها خمسة أعوام ، ومستقبل قريب يغطي مساحة قدرها عشرون عاماً ، ومستقبل بعيد يمتد إلى نحو خمسين عاماً ، ومستقبل أبعد يتجاوز الخمسين. وهم لخبرتهم الحسنة بالواقع يستطيعون مد البصر نحو المستقبل في المجالات التقنية والتنموية المادية بصورة خاصة. لكن لا اعتقادهم أن العلم هو الذي يكيف سلوك البشر ، وليس الدين فإن كثيراً من توقعاتهم سوف تكون مخيبة للأمال. وتاريخ البشرية هو تاريخ الرسائل والشرائع وما تحدثه من دوائر الاستجابة وردود الفعل ؛ وسيظل مستعلق الفهم على من نظر إليه على غير ذلك.

وإذا كانت وظيفة الإنسان في الحياة هي الإلتزام بشرع الله والقيام بإعمار الأرض فإن القرآن الكريم يحدثنا أن هلاك الأمم الماضية لم يكن أبداً بسبب القصور العمراني ، وإنما بسبب التقصير في جانب العبودية لله تعالى والانحراف عن منهجه. وهذا ما لا يستطيع الغربيون اليوم فهمه ؛ ومن ثم فإن كثيراً من دراسات المستقبل لديهم سيظل جهاداً في غير عدو!

ونستطيع القول : إن الإسلام يربي المسلم على النظر دائماً نحو. الأمام ؛ فهو منذ البلوغ إلى أن يلقي الله - تعالى - يرونو نحو المستقبل بالآخرة - بل يجعله حكماً في حاضره بكل حركاته وسكناته. وهناك

نصوص كثيرة تتحدث عن المستقبل ، وهذه النصوص منها ما يقدم الإطار العام كقوله - سبحانه - : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) [الرعد: ١١] . وكقوله - سبحانه - : ((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)) [نوح: ١٠-١٢].

ومنها ما يقدم بعض التفصيلات كإخباره - صلى الله عليه وسلم - عن أن الفتنة ستأتي من قبل المشرق ، وإخباره عن فشو الأمراض الغربية في الذين تفشو فيهم الفاحشة (١) الخ.. وقد أوجدت معرفة السنن عند السلف حساً خاصاً بالتعامل مع الواقع من خلال إفرازاته المستقبلية ؛ فهذا أبو بكر - رضي الله عنه - يقول : «لا تغبطوا الأحياء إلا على ما تغبطون عليه الأموات» وهذا تعبير مركز ينم عن رؤية الأشياء المادية ونهاياتها في لحظة واحدة !!

وهذا عمر - رضي الله عنه - يأتيه خبر فتح خراسان ، فيقول للناس في المدينة: «لا تبدلوا ، ولا تغيروا ، فيستبدل الله بكم غيركم ، فإني لا أخاف على هذه الأمة إلا أن تؤتى من قبلكم» (٢). وهذا هو يؤتى إليه بغنائم «جلولاء» ، فيرى ياقوته وجوهره ، فيبكي ، فيقول له عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - : ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا موطن شكر؟! فيقول عمر: «والله ما ذاك يبكيني ، وتالله ما أعصى الله هذا أقواماً إلا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلا ألقى الله بأسهم بينهم» (٣)! وقد كان ما خافه رحمه الله!

لماذا التعرف على السنن :

السنن ماضية قاهرة ، ونحن لا نتعلمها من أجل تغييرها أو تحييدها ، وإنما من أجل الانسجام معها والعمل بمقتضاها وتلافي الاصطدام بها. والسنن مع جبريتها لا تمنعنا من الحركة ؛ إذ إن بين جبرية السنن ووسع المسلم وطوقه مساحات واسعة تصلح للتحرك والعمل ؛ فالقوانين الفيزيائية والكيميائية ثابتة ، لكننا من خلال فهمها استطعنا إيجاد الألوف من الصناعات الكيميائية والفيزيائية مستغلين ما بينها من خلاف وتنوع.

ومشكلتنا في هذه القضية ذات رؤوس متعددة :

فهناك من هو غارق في الماضي غريب عن الحاضر ، فهو يرى مقدمات الأحداث وجذورها ، دون أن يرى النتائج ، فهو مغترب أبداً.

ومنا من غرق في الحاضر دون أن يعرف عن بدايات الخلق لأزماته ومشكلاته شيئاً ؛ فهو يدور في حلقة مفرغة لا يرى مخرجاً ، ولا يهتدي سبيلاً.

ومنا من شهد جبرية السنن ، ولم يشهد مساحات التكليف وإمكانات الحركة ، فوقف عاطلاً عن العمل حاجعاً في إجازة مفتوحة ، لكنه أثرى أدب الشكوى من الزمان والظروف وتواطؤ الأعداء بما لا مزيد عليه !!

ومنا من غرق في الأحلام الوردية ؛ فهو لا يرى ما هو كائن لينطلق به إلى ما ينبغي أن يكون ؛ فهذا شاق ، ويقتضي عملاً ، فوجد أن التعامل مع ما حوله على ما ينبغي أن يكون أسهل وأجمل فصار إليه!

ومنا من لم يسمع بالسنن فتفكيره إلى الخرافة أقرب ، وعلمه بالإرادة الكونية والإرادة الشرعية هباء ، والحياة أمامه بعد واحد ينتهي بطريق مسدود!

واجبنا اليوم :

١ - التركيز في معارفنا العامة على الدراسات التاريخية والنفسية والتربوية والاجتماعية ؛ لنتمكن من استجلاء أكبر عدد ممكن من سنن الله تعالى في الأنفس والمجتمعات.

٢ - بلورة مناهج للعمل الدعوي تتناسب مع تلك السنن في أساليبها وأدواتها.

٣- تربية أبنائنا وطلابنا على التفكير السني ؛ ليحل محل الأوهام والخرافات التي عششت في أذهان كثير منهم.

٤ - محاولة القيام بتقويم سنني للأحداث الكبرى في تاريخنا والمعالم البارزة في واقعنا المعاش.

٥- القيام بدراسات علمية مستقبلية تعتمد على ما فقهنه من سنن الله تعالى في حركة الفرد والمجتمع. وإذا ما فعلنا ذلك فسوف نجد الخلاص من كثير من مشكلاتنا ، كما سنجد ساحات ودروباً للحركة والعطاء. وعلى الله قصد السبيل.

الهوامش :

١- انظر هذه الأخبار وكثيراً نحوها في كتاب الفتن من صحيح البخاري.

٢ - الطبري ١٧٣،/٤

٣ - السابق ٣٠/٤.

البيان تحاور الدكتور

جعفر شيخ ادريس

"تكملة"

قلتم : إن الفكر الإسلامي لا يمثل تحدياً فكرياً ، وعنيتم بالتحدي الفكري الذي يحمل سياسة ويتجسد بقوة ، أما الفكرة فلا قيمة لها إلا بآثارها ، ومثلتم ذلك بالشيوعية التي كانت تحدياً فكرياً للغرب ، هذا التحدي الفكري يحمل فكرة ويحمل نظاماً معيناً، نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.. فهل مثلت الفكرة الشيوعية تحدياً للرأسمالية؟ أم هل تعني أنهم يرون فينا تجمعاً بشرياً مخيفاً فقط؟

يرون فينا - نحن المسلمين - أننا تجمع وأننا أناس رافضون للحضارة الغربية، هذا معروف، حتى فوكوياما هذا الذي كتب كتاب «نهاية التاريخ» كان فحوى كتابه أن كل العالم استسلم للمنهج الأمريكي في السياسة الليبرالية والديمقراطية، وفي الاقتصاد الحر، واستثنى من ذلك العالم الإسلامي ، لأنهم ما زالوا يعتقدون أن عندهم بديلاً ، لكن هل فوكوياما قرأ كتباً للمسلمين تشرح له ما البديل الذي يرونه؟! هذا الذي أقصده بالفكرة، هل هنالك كتب يقرأها الغربيون سواء بلغتهم ، أو مترجمة عن اللغة العربية وشائعة بينهم كما كان الفكر الماركسي له أنصار ليست لهم علاقة بالدولة الروسية ، بل ينتقدون الشيوعية ويميزون بين الفكر الماركسي والشيوعية ، وما زال حتى بعد سقوط الشيوعية الكثير من الأفكار الماركسية التي دخلت في الفكر الغربي: في علم الاجتماع، في علم الاقتصاد والسياسة، وحتى في البلاد التي سقطت فيها الماركسية ، لا تظنوا أن الفكر الماركسي سيسقط كما سقط النظام الشيوعي ، إنه ما زال يعيش في عقول الناس ، وهذا الذي تربوا عليه ، فسيبقى عندهم وستبقى منه آثار كثيرة ، وعندما كنا في البوسنة والهرسك - قبل الحرب - قلت لإخواننا هناك : لا تخذعوا أنفسكم وتظنوا أن سقوط الشيوعية معناه أن هذا الفكر خرج من رؤوس أبنائكم ورؤوسكم ، فالماركسية كانت تمثل تحدياً فكرياً لأنه ما من قضية من القضايا التي يناقشها الغرب إلا لها فيها رأي مكتوب بتوسع ومعروف عند كثير من المفكرين الغربيين.

يعني كأنك ترى أن مشكلتنا أننا لسنا حاضرين حضوراً فكرياً في أذهانهم؟

نعم ولكننا حاضرون سياسياً ، أناس يتجمعون ، حركات أصولية.. ويخلطون بين الأصولي والقومي ، لأن كل هؤلاء أتون من هذا الذي يسمونه « الشرق الأوسط » العجيب والمعتقد! إنهم ليسوا معجبين

بنا ، وأذكر أنه في أيام حرب الخليج كتب أحدهم وقال : لماذا نحن مشغولون بهؤلاء الناس؟! إنهم لا يستحقون منا كل هذه الانشغال ، الديموقراطية تسري في العالم كله : الدول الشيوعية ، جنوب شرق آسيا ، أفريقيا.. إلّا هذا العالم الذي ليس فيه حاكم واحد منتخب! وبعضهم يربط هذا بالإسلام. أنا لا أماري ولا أشكك في أنهم يخافون من العالم الإسلامي من الناحية السياسية ؛ ولكن الذي أقوله دائماً ، وبعض الإخوة يختلط عليهم الأمر أحياناً فيظنون أنني أقول إن الغرب لا يعادي الإسلام ، ولا يعادي المسلمين أو أنه صديق لهم ، أنا لا أقصد ذلك ، بل أعني أنه لا يعدنا تحدياً فكرياً - وهذه مسألة أحزن لها - وأمثل لكم بمثال عندما أراد المركز الإسلامي في أكسفورد ، وقد تعب بعضهم حتى وافقت الجامعة على إنشائه ، فمن ضمن الأشياء التي طرحت كاعتراض على فكرة إقامته : هل في العالم الإسلامي من يكتب بحثاً في مستوى أكسفورد؟! وهذا لو كان في ذهنه أدنى شك ما قال هذا الكلام ، والذين أجابوا قالوا: طبعاً ، هناك من يكتب ، والمقصود بحوث باللغة الإنجليزية.

● بما إنكم عشتُم فترة طويلة في الغرب هل تتوقعون أن يسلم عدد كبير منهم وخاصة المثقفين؟

أولاً كما قلت لكم من الناحية الفكرية بدأت تحصل من العلوم نفسها أشياء تزعزع الأساس الذي قام عليه الإلحاد الغربي ، ثانياً: هذه الأمراض التي انتشرت مثل الإيدز زعزعت بعض المسلمات عندهم ، كان في الغرب شيء يسمى الحرية الجنسية ، كانوا يعتقدون أن الإباحية وعدم التقيد بالزواج أمراً إنسانياً ، وأنها حررت الإنسان من القيود التي قيده بها الدين ورجاله ، وكانوا يعتقدون أن كل ما جاءت به الأديان هي قيود لا داعي لها ، وأن الإنسان يمكن أن يتحرر منها دون أن تعود عليه هذه الحرية بالضرر.

لكن انتشار الإيدز قضى على هذه الفكرة ، حيث بدأ يعتقد كثير منهم أن الإباحية ليست أمراً طبيعياً ، وكذلك انتشار المخدرات التي ينظر إليها في أمريكا والغرب على أنها عدوهم الأول ، وأنها مع الإباحية والشذوذ الجنسي هي التي ستقضي على حضارتهم ، وليس قوى من الخارج ، فكل هذا يزعزع ثقة الناس بهذه الحضارة ، فإذا جاءهم إنسان عنده بديل يحل هذه المشكلات ، ويبقي لهم ما هو نافع ، وما يفتخرون به من حضارتهم من تقدم علمي وتكنولوجي ، أظن أن هذا إن شاء الله سيكون سبباً في إسلام عدد كبير منهم. المتعصبون لن يتغيروا (السياسيون) ، لكن عامة الناس ، عقول الناس ليست ملكاً لأحد ، قد «يريد السياسيون شيئاً أما عامة الناس الذين لا يعرفون عن خطر العالم الإسلامي شيئاً هم أفراد عاديون ، الإنسان منهم يريد أن ينقذ نفسه ، ولو وجد من يدعوه إلى الدين الصحيح بعد أن تزعزعت ثقته سيكون لذلك نتيجة طيبة .

● ما رأيكم بالمراكز الفكرية والدعوية التي قامت في بلاد الغرب؟ وهل سيكون لها أثر في الغرب أو في العالم الإسلامي؟

لا نحب أن نظلم هذه المراكز ، لكن ليس لها دور من الناحية الفكرية ، لأنها نفسها ليست مشغولة بقضايا فكرية ، وكثير من الناس فيها يعيشون هموم بلادهم ، وكثير من الجاليات الإسلامية في البلاد الأجنبية غير متمسكين بدينهم وإن كان هناك بعض الأشياء عند المسلمين - مهما كانوا ضعفاء - تبهر الغربيين ، أذكر أن تاتشر قالت مرة إنها معجبة بالتماسك الأسري عند المسلمين ، وهذا أمر يُعْتَزُّ به بحمد الله ، وعلى الرغم من الانحرافات الكثيرة عندنا فما زالت علاقتنا بالوالدين والأقارب أحسن بكثير مما عندهم ، وهذا قد يكون له أثر بينهم.

● بما أن لكم تجربة طويلة في الدعوة في البلاد العربية هل ترون أن العمل الإسلامي ومنذ بداية

الحركة الإسلامية لم يحقق النتائج المتوقعة ، هل هنالك خلل أساسي لم ينتبه المسلمون له ، أو

أنهم عرفوه ولكن لم يستطيعوا إصلاحه؟

أولاً لا أقيس النجاح بالوصول إلى السلطة.

● **نعم ليس النجاح هو السلطة ولكن أن يكونوا قوة واضحة لها تأثيرها وظهورها في المجتمع؟**
 طبعاً الحركة الإسلامية - بحمد الله - لها تأثير ، وسبب جزء من هذا التأثير جهود الإسلاميين ، وجزء منه من تزعزع الغرب ، مثلاً اليساريون شعروا أن العصا التي يتكئون عليها انكسرت ، فالعلمانية لم يعد لها بريق وليس لها قبول ، أما عن أخطاء الإسلاميين فقد تحدثنا عن جزء منها في الملتقى ، وهي القضية التي أسميناها بقضية المنهج وأنه ليس واضحاً ، كثير من الجماعات قامت على أشياء عامة من الإسلام ، حتى أن الواحد منهم لا يعرف هل هو شيعي أم سني؟ وأنه لا فرق بين هذا وهذا! وهذه مسائل لا بد من الاهتمام بها ، وقد كان يكفي في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفي زمن الخلفاء الراشدين أن يقول الإنسان أنه مسلم لأن هذه الكلمة لها معنى واضح ، لكن بعد أن اختلف المسلمون وظهرت الانحرافات لم يعد هذا كافياً ، بل لا بد أن يحدد الإنسان أين هو في هذا البحر المتلاطم من الانحرافات والأخطاء القديمة والحديثة ، وكثير من الجماعات لم يوضح هذا الأمر ، وعدم وضوح التصور يؤدي إلى أخطاء في العمل.

كثير من الجماعات أيضاً موقفها حتى من ناحية التصور بالنسبة للحكام الذين تواجههم أيضاً ليس واضحاً: هل هم مسلمون لا يجوز الخروج عليهم؟ هل هم كفار يجب أن يخرج عليهم؟ هل حكمهم هو الكافر لكنهم بأشخاصهم مسلمون؟! هذه القضايا لم توضح التنظيمات ما موقعها ، بعض الناس تصور تنظيماتهم كأنها جماعة المسلمين والذي يخرج منها خرج على جماعة المسلمين ، ليس هناك أهدافاً محددة ، هناك هدف عام فضفاض ، وأخشى أنه حتى لو وصلت إلى الحكم - ولا تلازم بين وضوح الأهداف وسلامتها وبين الوصول إلى الحكم فالبعثيون والشيوعيون وصلوا إلى الحكم - فإن كثيراً من الناس سيصابون بخيبة الأمل بعد أن يتعبوا ويصلوا إلى الحكم ، ثم لا يجدون عندهم ما يقولونه للناس.

● **يلاحظ في السنوات الأخيرة أن شعار وحدة العمل ووحدة الصف الإسلامي شعار مقبول من**

الجميع ، ولكن لم يتحقق منه شيء ، ما هو السبب برأيكم؟

ما المقصود بوحدة الصف؟ إذا كانت وحدة الصف معناها وحدة التنظيم فهذا شيء متعذر وليس مفيداً أيضاً.

● **أن يكون هناك - على الأقل - تعاون وانسجام بدل الخلاف والتنازع.**

قال لي مرة رجل اعتبره من عقلاء الإسلاميين في العالم ، وكان من جيل المودودي ، هذا الرجل كان مهتماً بالعمل الإسلامي على مستوى العالم : إن الحركات العالمية كالمسيحية والصهيونية يجتمعون كل ثلاث أو أربع سنوات ، ويتذكرون وينتقد بعضهم بعضاً ، ويراجعون عملهم في تلك السنين ، وينشرون على الملأ الأخطاء التي وقعوا فيها ، أما عندنا فيحصل خطأ في مصر ، وبعد خمس سنين يكرر في السودان ، لأننا لا نعلم أنه خطأ وحدث في مصر ، أتمنى أن يسعى بعض إخواننا لمثل ذلك وقد اقترحنا هذا الاقتراح على كثير من إخواننا قبل أكثر من عشر سنوات ، وطلبنا منهم أن يجتمعوا اجتماعاً لا تصدر فيه قرارات وتوصيات ، ولا يكون من يحضره ممثلين رسميين لجماعتهم ، ويحضر هذا الملتقى أشخاص من كل جماعة يجتمعون ثلاثة أو أربعة أيام ويتذكرون في هذه المسائل ، ويذكر كل منهم ملاحظاته على الآخر ، لأن المؤمن مرآة أخيه.

وكذلك لو أن مجلتكم أو أي مجلة أخرى تتحول إلى منبر عام للمسلمين يتساجلون فيه ، لم لا يكون ذلك؟ وأن يكون هذا الخلاف فكرياً مفتوحاً لكل الناس في الإطار الإسلامي السني ، يتناقشون فيه ويقراءون كلام بعضهم.

● **إن ظروف الحرية الفكرية وحرية النشر قد تمنع من ذلك!**

ليس من الضروري أن يدخل هذا الكلام البلاد العربية ، بل ينشر في الخارج ولا بد أن يرشح منه شيء إلى من يهتم به. وحتى لو بدأت هذه الفكرة متعثرة فلتكن المجلة منبراً حراً ويكتب فيه كل واحد ، وإن لم توزع في كل العالم الإسلامي؟ ففي بعضه ، وفي البلاد الأجنبية ، فهناك الآلاف من الشباب المسلم فيها.

للأسف فإننا نلاحظ قلة إقبال هذا الشباب على القراءة وبخاصة بالعربية إن النخبة منهم يقرأون العربية أو جزء منها بالعربية وجزء بالإنجليزية ، فلا بد للناس أن يتناقشوا في القضايا المهمة.

• ذكرتم أن هذا اللقاء والمنبر الحر لا بد أن يكون له إطار ما ، هل ترون أنه مما يسرع في وحدة الصف أو التعاون أن يكون هناك شيء واضح يجتمع عليه في البداية مثلاً كالاتفاق على منهج أهل السنة والجماعة؟

هذا مما أراه في النهاية ، لكن في البداية لا تجعل هذا شرطاً للكتابة في المجلة ، لأن المجلة هي نفسها وسيلة لنشر هذا الكلام ومناقشته ، لأن التنظيمات الحركية ليست جماعات فلسفية ، فالجماعة الفلسفية يمكن أن يشترك فيها أناس متباينو الفكر ، رغم أنني لاحظت في الغرب أنه حتى في الجماعات الفلسفية هذا لا يحدث ، لكن أعني أن الجمعية الفلسفية أو الأدبية تتحمل هذا الخلاف ، لأنها جامدة لا تتحرك. لكن الجماعة التي تريد أن تتحرك لا بد لها من إطار موحد تتحرك فيه ، وإلا تقاذفتها الأمواج ، ووجد الانتهازيون فرصة للفتك بها وتخريبها من الداخل خصوصاً إذا صارت كبيرة وصار من وراءها نفع ، ما أسهل على الجماعة غير محددة الاتجاه أن لا تخترق فقط ؛ بل تقاد إلى أهداف غير التي نشأت في البداية من أجلها. ولا يكفي لتحديد هذا الإطار أن يكون شيئاً كال دستور مكتوباً وينسأه الناس ؛ بل لا بد أن يتربى عليه الناس حتى يستطيعوا أن يميزوا في أتباعهم المستقيم من المنحرف ، وبدون ذلك لن تكون النتائج بحجم الأهداف العظيمة التي نتحدث عنها دائماً ، كيف سنحقق تلك الأهداف إذا لم نكن على منهج محدد وواضح وصحيح؟!

• هناك من يرى أن الحركات الإسلامية في العصر الحديث، اهتمت بجانب التجميع ، ولم يكن لها تأثير اجتماعي هام : تأثير في تغيير شيء من ملامح هذا المجتمع في مجال الصناعة أو الاستقلال الاقتصادي ، ومشاركتها كانت مشاركة المعارض على السلطة، المحتج الهارب، المسجون أو المختفي ، أي تصرفات من يعيش على هامش المجتمع.

هذا قد لا يكون ذنب الحركات الإسلامية ، فالحركة إذا بدأت وضيق عليها وعورضت لا تستطيع أن تؤثر خصوصاً في مسألة الصناعة التي ذكرتها، لكن في بعض البلاد الحركة الإسلامية لها تأثير في بعض المؤسسات الاقتصادية التعليمية. وأما أنها حتى عندما تجد الفرصة للتأثير تنشغل بالمعارضة ؛ فهذا من العيوب وأنا أفرق بين النقد وبين المعارضة ، أما المعارض فينشغل طول الوقت بنقد أخطاء الحاكم ، وهذه من الأمور التي نكرر فيها الخطأ ، وأفرق أيضاً بين النقد وبين الحملة ، أنت عندما تنتقد نقداً متواصلاً ولا تذكر للحاكم حسنة ، هذه حملة ، وقد يتوقع أن عندك شيئاً وليس عندك شيء ، كأنك تحشره وتدعوه لضربك ، وهذا حصل كثيراً في بعض البلاد ويحدث الآن ، وأرى أن يضبط الناس أنفسهم في هذه المسألة وهي صعبة جداً ، لأن المعارضة سهلة ومغرية لمن يعتبرها باباً من أبواب الجهاد ، والإنسان بطبعه يحب التحدي ، لكن لا بد من الموازنة بين المواجهة وفائدة العمل على المستويات المختلفة الأخرى ، لأن من الخطأ أن نظن أن مشكلة العالم الإسلامي هي مشكلة الحكام فقط ، إن المشكلة هي المجتمع بأسره ، فهو المنبع لهذه المشاكل ، ولذلك فإن من السذاجة الاعتقاد بأن التخلص من حاكم هو الحل السحري الذي سيخلص البلاد والعباد من الأزمات والعناء الذي يعانيه ، ونسيان أن المجتمع هو الرحم الفاسدة التي تحتاج إلى إصلاح ،

حيث لا تزال تدفع بمثل هذا الذي نتمنى زواله. وما أشبه حالنا من غير فخر - بالحال التي يصورها الشاعر العربي الذي يفخر بقومه:

وإني من القوم الذين هم همُ إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

إننا - مع مواجهتنا ونقدنا للسلطة - يجب أن نسعى سعياً حثيثاً لتغيير هذا الواقع الذي يفرخ لنا هذه المصائب. كنت أظن وأنا شاب أن المشكلة هي فلان ، فذهب فلان وفلان ولم يتغير شيء، إذن المشكلة أبعد من فلان، المشكلة اجتماعية ، وهذا ما يجب أن يربى عليه الشباب، حتى تتسع رؤيتهم ، ولا يكون عملهم محدوداً ضيق الأفق ، وموجهاً إلى شخص معين فقط.

الهوامش:

* - الملتقى الثقافي الذي يقيمه المنتدى كل ستة أشهر.

الإخلاص

د. فضل إلهي

ان أهم ما يجب أن يتصف به الداعية الإخلاص. فلا يجعل دعوته حرفة تكسب الأموال ولا ذريعة للتقرب إلى غير الله ، ولا سلباً للوصول إلى الجاه والسلطان ، بل يبتغي بدعوته وجه الله الواحد الأحد، ولا يريد من أحد سواه جزاء ولا شكوراً. وسنتحدث عن هذا الموضوع بعون الله تعالى تحت العنوانين التاليين :

أولاً: وجوه تبين ضرورة اتصاف الداعية بالإخلاص.

ثانياً: أمثلة من إخلاص الدعاة السابقين.

وجوه تبين ضرورة اتصاف الداعية بالإخلاص :

وتظهر ضرورة اتصاف الداعية بصفة الإخلاص من عدة وجوه منها:

١- يشترط الإخلاص لنيل الثواب على الدعوة :

مما لا شك فيه أن الدعوة إلى الله من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها لكن القائم بها لا يؤجر ولا يثاب عليها إلا إذا كان مخلصاً في دعوته. قال تعالى: ((لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)) [النساء ١١٤]

يقول الفخر الرازي في تفسير الآية: "والمعنى أن هذه الأقسام الثلاثة من الطاعات وإن كانت في غاية الشرف والجلالة، إلا أن الإنسان إنما ينتفع بها إذا أتى بها لوجه الله ولطوب مرضاته. فأما إذا أتى بها للرياء والسمعة انقلبت القضية فصارت من أعظم المفسدات. وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلوب في إخلاص النية ، وتصفية الداعية عن الالتفات إلى غرض سوى طلب رضوان الله تعالى" (١).

وقد بين رسول الله أيضاً أن العمل يحبط إذا قصد مع الله أحد. فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال الله تبارك وتعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" (٢).

وقد بين كثير من سلف هذه الأمة أيضاً ضرورة الإخلاص لقبول العمل فقد قال سعيد بن جبير - رحمه الله تعالى- : "لا يقبل قول إلا بعمل ، ولا يقبل أيضاً قول وعمل إلا بالنية ، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة"(٣).

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى- : "إن العمل إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل . ، إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً . والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة"(٤).

٢- الدعوة بغير الإخلاص ستجر صاحبها إلى النار:

ولا يقف ضرر الدعوة بغير الإخلاص عند حرمان صاحبها من الثواب بل يتعدى إلى أنها ستجر الداعية إلى النار. فقد روى الإمام ابن ماجه عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن النبي قال : "لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ، ولا تخيروا به المجالس (٥) ، فمن فعل ذلك فالنار فالنار"(٦). وليس هذا فحسب بل إن الداعية لغير وجه الله تعالى سيكون أحد الثلاثة الذي تسعر بهم النار يوم القيامة. فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد. فأُتي به فعرفه نعمه فعرّفها. قال : "فما عملت فيها؟". قال : "قاتلت فيك حتى استشهدت" ، قال : "كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء" ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن. فأُتي به ، فعرفه نعمه فعرّفها. قال : "فما عملت فيها؟" ، قال : "تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن" ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارئ. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله. فأُتي به فعرفه نعمه فعرّفها. قال : فما عملت بها ، قال : "ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك" . قال : : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار"(٧).

وفي رواية أخرى : قال أبو هريرة -رضي الله عنه- : ثم ضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ركبتي فقال : يا أبا هريرة! أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعر بهم النار يوم القيامة"(٨). يقول الإمام النووي تعليقاً على رواية مسلم : "قوله -صلى الله عليه وسلم- في الغازي والعالم والجواد ، وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته ، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال تعالى: ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)). وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً ، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك مخلصاً"(٩).

٣- القاصد لغير وجه الله لا يقدر على نيل ما يرغب فيه :

إن من ابتغى غير وجه الله بدعوته فليسأل نفسه ماذا يريد من وراء دعوته؟ هل يطلب بدعوته متاع الدنيا وزينتها؟ أم يهدف إلى نيل السيادة والقيادة في الأرض؟ أم يبتغي العزة بها؟ أم ينشد بها رضى الناس؟

إن كان قد أراد متاع الدنيا وزينتها بالدعوة فكيف يقدر على نيلها بغير إذن من له الأرض والسموات وما بينهما وقد قال تعالى : ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ...)) [هود ١٥] ، وعليه أن يقرأ قوله تعالى : ((قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْفَعُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ

ولا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ)) [المؤمنون ٨٤-٨٩]، وكيف ينالها بغير حكم من له خزائن السموات والأرض ((وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)) [سورة المنافقون ٧].

وإن كان قد رغب في الزعامة والقيادة في الأرض تحت ستار الدعوة فكيف يصل إليها من غير أمر من هو مالك الملك؟ وعليه أن يتدبر قوله تعالى : ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [آل عمران ٢٦]. وإن كان قد قصد بالدعوة العزة فليعلم أن العزة من رب العباد وليست من العباد ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا)) [فاطر ١٠]. وإن كان قد نظر في دعوته إلى رضى الناس فليفهم أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء. ثم إن القاصد لغير وجه الله تعالى لينتبه أن من فتح له المولى من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده. قال سبحانه وتعالى : ((مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) [فاطر ٢].

ومن أعطاه فلا مانع له ، ومن منعه فلا معطي له كما كان الصادق المصدوق بالوحي عليه الصلاة والسلام يقول إذا انصرف من صلاته : "لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد" (١٠). وعلى القاصد لغير وجه الله تعالى أن يتذكر دائماً أن من أهانه الله فلا معز له ومن أكرمه فلا مهين له. قال تعالى : ((وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)) [الحج ١٨]. وعليه أن يستحضر ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم - الحسن بن علي - رضي الله عنهما - أن يقوله في قنوت الوتر: "وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت". (١١) وعليه أن يحفظ أن من طلب رضى الله تعالى كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضى الناس وكله الله إلى الناس. فقد روى الإمام الترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : "من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس" (١٢). فما أجهل وأخسر من ترك ابتغاء وجه الله تعالى بالدعوة لأمر لا يقدر على نيلها إلا بأمر الله تعالى.

٤- المخلص في دعوته لله تعالى لا يبقى محروماً من الدنيا :

من قصد بدعوته غير وجه الله تعالى فليفكر في هذا السؤال : هل سيحرم من الدنيا إذا ابتغى بالدعوة مرضات الله سبحانه تعالى؟ للإجابة على هذا السؤال عليه أن يستحضر الحديث الذي رواه الإمام الترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله الفقر بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له" (١٣). وعليه أن يعيد إلى ذاكرته تاريخ سلف هذه الأمة. إنهم أخلصوا النية في دعوة الناس إلى رب الناس فلم يكن هذا الاخلاص حاجزاً دون تدفق خيرات الدنيا ونعيمها عليهم ، خضعت لهم - بفضل الله تعالى - كبرى قوات العالم آنذاك ، ورفرفت أعلامهم من أسبانيا إلى كاشغر وبخارى ، وكثرت الأموال حتى لم يكد يوجد من يقبل الصدقات. وقد قال عنهم عدوهم :

"إننا لا نذكر أمة كالعرب حققت من المبتكرات العظيمة في وقت قصير مثل ما حققوه ، وإن العرب أقاموا ديناً من أقوى الأديان التي سادت العالم ، أقاموا ديناً لا يزال تأثيره أشد حيوية مما لأي دين آخر ، وإنهم أنشأوا دولة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ" (١٤). إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

إخلاص الدعاة السابقين :

قبل أن نختم هذا الموضوع نذكر فيما يلي بعض الشواهد التي يتجلى من خلالها إخلاص الدعاة السابقين من الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- وإخلاص سيد الرسل وسلف هذه الأمة.

أ- إخلاص الأنبياء السابقين :

إن الدعوة إلى الله تعالى سبيل الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- ، وعلى السالك في هذا الطريق أن يسلك كما سلكوا ، ويتزود كما تزودوا ، ويتصف بما اتصفوا به. إنهم أخلصوا الله الواحد ولم يطلبوا من أحد سوى الله تعالى أجراً. أخبر الله تعالى في سورة الشعراء عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب -عليهم الصلاة والسلام- أن كل واحد منهم قال لقومه : ((وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)) [الشعراء ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠] ، وهكذا أعلن إمام الأنبياء وقائد المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم- يقول تعالى مخاطباً إياه : ((قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) [سبا ٤٧]. ويقول سبحانه وتعالى أيضاً : ((قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)) [ص ٨٦] ، ويقول تعالى أيضاً : ((أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ)) [الطور ٤٠].

٢- إخلاص سيد الرسل -صلى الله عليه وسلم- :

وقد أثبت إمام الدعاة وقودتهم أيضاً بسيرته المطهرة أنه لا يريد من وراء دعوته مالا ولا ملكاً. إنما يقصد الأجر من الله تعالى ، ومن مواقفه الكثيرة الدالة على ذلك موقفه من عروض قريش على لسان مندوبها عتبة بن ربيعة لما قال له : أعرض عليك أموراً تنتظر فيها لعلك تقبل منها بعضاً... يا ابن أخي! إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا. ولم يكن رده على هذه العروض إلا أن قال : أقدر فرغت يا أبا الوليد؟ قال : نعم ، قال : "فاسمع مني" ، فقال : ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم * تَنْزِيلُ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ..)) ، قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى انتهى إلى السجدة منها فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك " (١٥).

إخلاص سلف هذه الأمة:

وهكذا كان أصحابه البررة وأتباعه الصادقون ، دعاة الحق وأئمة الهدى رضي الله تعالى عنهم- يعلنون في كل مكان أن طلبهم ليس الدنيا بل إنهم يريدون إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، وأن من دخل في الإسلام فماله له ، وملكه له. وما أكثر الشواهد الدالة على ذلك. فمن ذلك أن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه- لما ذهب إلى رستم بناء على طلبه قبل بدء القتال في معركة القادسية ، قال له رستم : «إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم، ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم، ولا تمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا». فقال له المغيرة رضي الله عنه- : إنا ليس طلبنا الدنيا ، وإنما همنا وطلبنا الآخرة ، وقد بعث الله إلينا رسولا ، قال له : «إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدين بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل ، ولا يعتصم به إلا عز». فقال له رستم : «فما هو؟» ، فقال : «أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله» ، فقال : «ما أحسن هذا! وأي شيء أيضاً؟» ، قال : وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله. قال : «وحسن أيضاً ، وأي شيء أيضاً؟» قال : «والناس بنو آدم ، فهم إخوة لأب وأم» ، قال : «وحسن أيضاً» ، ثم قال رستم : «أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن

بلادنا؟» ، قال : «إي والله! ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة». ولما خرج المغيرة -رضي الله عنه- من عنده ذاك رستم قومه في الإسلام ، فأنفوا من ذلك، وأبوا أن يدخلوا فيه(١٦). ما أصرح كلام المغيرة -رضي الله عنه- لبيان موقف المسلمين من الملك والمال وحرصهم على هداية الناس. ولم يكن هذا البيان الواضح الذي لا لبس فيه ولا غموض على لسان المغيرة -رضي الله عنه- وحده بل هكذا كان على لسان كل من أتاحت له الفرصة لتوضيح غاية المسلمين وهدفهم. ونجد النعمان بن مقرن -رضي الله عنه- يخاطب ملك فارس يزدجرد وجهاً لوجه بقوله: «.. ونحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الإسلام ، حسن الحسن ، وقبح القبيح كله ، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه جزاء ، فإن أبيتم فالمناجزة. وإن أجبتكم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم»(١٧). هكذا كان دعاة الحق في الجبهة الفارسية ، وفي الجبهة الشامية يصرح معاذ بن جبل -رضي الله عنه- في وجوه القادة الروميين والشاميين :

«إن أول ما ادعوكم إلى الله أن تؤمنوا بالله وحده، وأن تصلوا صلاتنا، وتستقبلوا قبلتنا، وأن تستنوا بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم- وتكسروا الصليب، وتجتنبوا شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير ، ثم أنتم منا ونحن منكم ، وأنتم إخواننا في ديننا. لكم ما لنا وعليكم ما علينا»(١٨). وفي الجبهة المصرية نجد عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- يبين ترفع المسلمين عن الدنيا للمقوقس بقوله :

«وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة دنيا ولا طلباً للاستكثار منها ، إلا أن الله قد أحل ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً، وما يبالي أحدنا أكان له قنطار ذهب أم كان لا يملك إلا درهماً، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يسد بها جوعته ليلته ونهاره، وشملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله، واقتصر على هذا الذي بيده ويبلغه ما كان في الدنيا، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء. إنما النعيم والرخاء في الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستتر عورته، وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه»(١٩). وماذا كان تأثير كلام هذا الداعي المخلص الطالب لرضوان الله؟ فلنسمع - محدثنا أبا القاسم ابن عبد الحكم بقوله :

«فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره، وإن قوله لأهيب عندي من منظره، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض. ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها»(٢٠).

وفي الجبهة الصينية لما قال ملك الصين لرئيس وفد المسلمين : قد رأيتم عظيم ملكي ، وإنه ليس أحد يمنعكم مني ، وأنتم في بلادي ، وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفي ، فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف. فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه. فأجابه هُبيرة بن المشفرج الكلابي رئيس وفد المسلمين بقوله : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وكيف يكون حريصاً من خُلف الدنيا قادراً عليها وغزاًك؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا أجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه»(٢١).

فالسالك طريق الدعوة هو السالك سبيل الأنبياء والمرسلين ، وسبيل سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم- وأصحابه البررة -رضي الله عنهم- ، وعليه أن يخلص نيته كما أخلصوا.

الهوامش :

- ١- التفسير الكبير ٤٢/١١ وانظر مختصر تفسير ابن كثير ٤٤٠،/١
- ٢- صحيح مسلم ، الحديث ٢٩٨٥ ، ٢٢٨٩،/٤
- ٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٧٦،
- ٤- المرجع السابق ص ٦٦،
- ٥- ولا تخيروا به المجالس: لتختاروا به المجالس ذات الشهرة وتجلسوا في صدورها (انظر تعليق الدكتور محمود الطحان على "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" م ١ / ٨٧،
- ٦- الألباني (انظر صحيح سنن ابن ماجه ٤٨/١)
- وفي رواية أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم- قال: «من طلب العلم ليماري به السفهاء ، أو ليباهي به العلماء ، أو ليصرف وجوه الناس إليه، فهو في النار». (سنن ابن ماجه، المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم الحديث ٢٢٨ ، ٤٦/١)
- وقال عنه الألباني : «حسن» انظر صحيح ابن ماجه ٤٨/١ .
- ٧- صحيح مسلم ، الحديث ١٩٠٥،
- ٨- صحيح الترمذي ، الحديث ١٩٤٢ ، ٢٨٢،/٢
- ٩- شرح النووي ٥١،-٥٠/١٣
- ١٠- انظر صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.
- ١١- انظر مختصر سنن أبي داود للمنذري ، تفريع أبواب الوتر ، باب القنوت في الوتر، رقم الحديث ٣٧٨ ، ١ ، ٢ / ١٢٥،
- ١٢- صحيح سنن الترمذي ، الحديث ١٩٧٦ ، ٢٨٨،/٢
- ١٣- صحيح سنن الترمذي ، الحديث ٢٠٠٥ ، ٣٠٠،/٢
- ١٤ - حضارة العرب ، غوستاف لوبون ، ٧٣٦،
- ١٥- انظر سيرة ابن هشام ٢٦١،/١
- ١٦ - البداية والنهاية ٣٩،/٧
- ١٧ - البداية والنهاية ٤١، /٧
- ١٨- فتوح الشام للأزدي.
- ١٩- فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ٩٩،
- ٢٠- المرجع السابق ص ٩٩ .
- ٢١- انظر تاريخ الطبري ٥٠٢/٦.

خاطر في الدعوة في النقد الذاتي

محمد العبد

من تأملات ابن خلدون في طبيعة الاجتماع الإنساني أن بعض الشعوب عندما تجاور شعوباً أخرى فإنها تسرق من طباعها، وتتسرب إليها عاداتها وتقاليدها ، ويضرب ابن خلدون مثلاً على ذلك أن بني إسرائيل عندما خرجوا من مصر وسكنوا بلاد الشام كانت هذه البلاد تعج بشتى القبائل والأقوام المختلفة المشارب والمذاهب، ومع طول المجاورة تأثر بنو إسرائيل بهذا التفرق ، ودبّ فيهم الخلاف وضعفوا حتى جاءهم من أزالهم عن ملكهم.

هذه ملاحظة ذكية من مؤرخنا الاجتماعي تدل على تعمقه في دراسة أحوال المجتمعات أو التجمعات ، والمتأمل لحال الدعوة الإسلامية في هذا العصر يجد مثل هذا التسرب قد دخل إليها من المحيط والبيئة التي تعيش فيها ، سواء كانت بيئة الدول الوطنية أو الأحزاب، وبيئة المجتمع المتخلف حضارياً والذي تبرز فيه الدعوات الإقليمية أو القبلية، ففي الأحزاب والدول التي تعيش بين ظهرانيها يتسلق إلى المناصب المداهنون والمتملقون الذين يتقنون فن الكلام ، ويبعد أصحاب الرأي الاستقلالي وأصحاب الشخصية القوية، وكأنهم يسيرون على القاعدة الاقتصادية (العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة) ويقع أحياناً مثل هذا في صفوف الدعوة.

ومن سنن الزعيم السياسي أن يكون من دونه شخصاً ضعيفاً حتى يستطيع التصرف ولا يبرز أحد بجانبه ، وتجد مثل هذا في الدعوات. وتمارس الدول ضغوطاً اقتصادية على أصحاب الفكر والدعوة ، سواء كان ذلك بالمنع أو العطاء ، وتعتبر هذا من المحافظة على كيائها ، وتجد من بعض الفصائل الإسلامية من يفعل مثل ذلك ، ومن الوزراء من يجعل وزارته مزرعة لأقاربه وأصدقائه وأهل بلده ، ويقع مثل هذا أحياناً فيقرب أحدهم لصلة الصداقة أو القرابة ، كل هذه السليات موجودة ، ولكنها داء خفي لا ينتبه له ، وهو من عوامل فسم عرى الوحدة ، وزرع الإحن والبغضاء ، وإبعاد الكفاءات ، فهل تعالج هذه الأمور قبل استفحالها وقبل أن تقضي على ما تبقى من حيوية الدعوة.

نحن لا ننكر أثر البيئة، ولكن المراجعة المستمرة للأخطاء وللأسباب المعيقة للتقدم، والتعمق في فهم بعض الظواهر السلبية؛ كل هذا كفيل بأن يخفف كثيراً من أثر البيئة. إن ابن خلدون يريد أن يقول: إن هذا من حتميات التجمع البشري، ولا أعتقد ذلك.

مسائل في التكفير

عبد العزيز محمد آل عبد اللطيف

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد :

من المعلوم أن مسألة التكفير من المسائل الكبار ، والقضايا الخطيرة ، وقد خاض فيها الكثير من بين غالي وجاف.. وهدى الله تعالى أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، فقرروا هذه المسألة بعلم وعدل ، وتوسطوا بين أهل الغلو والإرجاء. وسأعرض في الصفحات التالية طرفاً من مباحث هذا الموضوع على النحو الآتي :

١- أهمية هذه المسألة وخطورتها:

نبه علمائنا إلى خطورة هذه المسألة وعظم شأنها ، وما يترتب عليها من نتائج وتبعات سواء في الدنيا أو الآخرة ، وإليك جملة من كلامهم في ذلك :

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق» هي من مسائل «الأسماء والأحكام» التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة ، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا ، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين ، وحرّم الجنة على الكافرين ، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان» (١).

وقال ابن الوزير: «وكم بين إخراج عوام فرق الإسلام أجمعين ، وجماهير العلماء المنتسبين إلى الإسلام من الملة الإسلامية ، وتكثير العدد بهم ، وبين إدخالهم في الإسلام ونصرته بهم وتكثير

أهله ، وتقوية أمره ، فلا يحل الجهد في التفرق بتكلف التكفير لهم بالأدلة المعارضة بما هو أقوى منها أو مثلها مما يجمع الكلمة ، ويقوي الإسلام ، ويحقن الدماء ، ويسكن الدهماء حتى يتضح كفر المبتدع اتضح الحق الصادق ، وتجتمع عليه الكلمة» (٢).

إلى أن قال: «وقد عوقبت الخوارج أشد العقوبة ، وذمت أقبح الذم على تكفيرهم لعصاة المسلمين مع تعظيمهم في ذلك لمعاصي الله ، وتعظيمهم لله تعالى بتكفير عاصيه ، فلا يأمن المكفر أن يقع في مثل ذنبهم ، وهذا خطر في الدين جليل ، فينبغي شدة الاحتراز فيه من كل حليم نبيل» (٣).

وقال الشوكاني : «اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار ، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة رضي الله عنهم- ، أن من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما..» (٤).

وعندما يقرر هؤلاء الأعلام وغيرهم خطورة هذه المسألة ، فلا يعني تمبيعها وإغلاق باب الردة بالحكم بإيمان من ظهر كفره بالدليل والبرهان ، فهذا لا يقل انحرافاً وخطراً عن تكفير مسلم وإخراجه من الملة ، ولذا قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

«وبالجملة فيجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله ، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله ، فإن إخراج رجل من الإسلام أو إدخاله من أعظم أمور الدين» وقد استنزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة ، فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره ، وتعدى بآخرين فكفروا من حكم الكتاب والسنة مع الإجماع بأنه مسلم..» (٥)

- ٢ -

يتعين التنبيه على أن الحديث عن موضوع الكفر أو التكفير لا ينفك عن فهم مقابله وهو الإيمان ، ولذا فإن الانحراف في تعريف الإيمان ، يورث انحرافاً في تعريف الكفر ، وقد أشار الشيخ العلامة عبد الليف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله إلى قاعدة في ذلك فقال : «اعلم أن من تصوّر حقيقة أي شيء على ما هو عليه في الخارج ، وعرف ماهيته بأوصافها الخاصة ، عرف ضرورة ما يناقضه ويضاده ، وإنما يقع الخفاء بلبس إحدى الحقيقتين ، أو بجهل كلا الماهيتين ، ومع انتفاء ذلك وحصول التصور التام لهما ، لا يخفى ولا يلتبس أحدهما بالآخر ، وكم هلك بسبب قصور العلم ، وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة ، وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمّة» (٦).

ومثال ذلك أن المرجئة لما أخطئوا وانحرفوا في فهم الإيمان ، فحصره في مجرد التصديق ، وأخرجوا العمل عن مسمى الإيمان ، أورثهم ذلك انحرافاً في فهم الكفر ، حيث حصروه في دائرة التكذيب فقط ، وانكروا كفر العناد والاستكبار ، وكفر الإعراض ونحوهما من أنواع الكفر الأكبر. (٧)

- ٣ -

يجب أن يُعلم أن الكفر حكم شرعي ، وأن الكافر هو من كفره الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم- ، فليس الكفر حقاً لأحد من الناس بل هو حق الله تعالى. يقول ابن تيمية: «فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك، وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه ، ولا تزني بأهله ؛

لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق الله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله» (٨).

ويقول القرافي : «كون أمر ما كفراً ، أي أمر كان ، ليس من الأمور العقلية بل هو من الأمور الشرعية ، فإذا قال الشارع في أمر ما هو كفر فهو كذلك ، سواء كان ذلك القول إنشاء أم إخباراً» (٩).

٤- تعريف الكفر لغة واصطلاحاً:

الكفر لغة: التغطية ، قال تعالى: ((كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ)) فسمي الفلاح كافراً لتغطيته الحب ، وسمي الليل كافراً لتغطيته كل شيء (١٠).

وأما معناه اصطلاحاً ، فنورد جملة من كلام أهل العلم في ذلك. يقول ابن تيمية: «إنما الكفر يكون بتكذيب الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما أخبر به ، أو الامتناع عن متابعتة مع العلم بصدقه ، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم» (١١).

ويقول ابن حزم في تعريف الكفر: «وهو في الدين: صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان : بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه ، أو بلسانه دون قلبه ، أو بهما معاً ، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج بذلك عن اسم الإيمان» (١٢).

ويقول ابن القيم في بيان معنى الكفر: «الكفر جحد (١٣) ما علم أن الرسول جاء به ، سواء كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية ، فمن جحد ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دق الدين وصلبه» (١٤).

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: «وحد الكفر الجامع لجميع أجناسه، وأنواعه، وأفراده هو جحد ما جاء به الرسول ، أو جحد بعضه ، كما أن الإيمان اعتقاده ما جاء به الرسول والتزامه جملة وتفصيلاً، فالإيمان والكفر ضدان متى ثبت أحدهما ثبوتاً كاملاً انتفى الآخر» (١٥).

من خلال النصوص السابقة نوجز معنى الكفر - الذي لا يجمع الإيمان - بأنه اعتقادات ، وأقوال ، وأفعال سماها الشارع كفراً منافياً للإيمان بالكلية- فإذا كان الإيمان قولاً وعملاً ، فكذا الكفر يكون قولاً وعملاً ، فقد يكون الكفر قولاً قليباً كالتكذيب ، وقد يكون عملاً قليباً كالبعث لما جاء به الرسول ، وربما كان الكفر قولاً باللسان كالاستهزاء بالله تعالى وآياته أو رسوله.. وتارة يكون عملاً بالجوارح كالسجود لصنم ونحوه..

- ٤ -

وإذا كان الإيمان ليس شعبة واحدة فحسب بل هو بضع وسبعون شعبة كما أخبر الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم- -في حديث شعب الإيمان- ، فكذا مقابله الكفر. يقول ابن القيم مقررًا ذلك : «الكفر ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الإيمان إيمان ، فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر ، والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان» (١٦).

وإذا ثبت أن الكفر شعب متعددة ، وأن له مراتب ، فمنه ما يخرج من الملة ، ومنه ما لا يخرج من الملة ، فإنه يمكن أن يجتمع في الرجل كفر - غير ناقل من الملة - وإيمان ، وهذا أصل عظيم عند أهل السنة ، قد دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع ، ولقد أخطأ المبتدعة - عموماً - في دعواهم أن الكفر خصلة واحدة ، بناء على ظنهم الفاسد أن الإيمان شيء واحد يزول كله بزوال بعضه ، فلم يقولوا

بذهاب بعضه ، وبقاء بعضه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم- : «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان» (١٧).

٦- تكفير المطلق وتكفير المعين :

يفرق أهل السنة بين تكفير المطلق وتكفير المعين ، ففي الأول يطلق القول بتكفير صاحبه - الذي تلبس بالكفر - فيقال : من قال كذا ، أو فعل كذا ، فهو كافر ، ولكن الشخص المعين الذي قاله أو فعله لا يحكم بكفره بإطلاق ، بل لا بد من اجتماع الشروط وانتفاء الموانع ، فعندئذ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها.

يقول ابن تيمية: «وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط ، حتى تقام عليه الحجة ، وتبين له المحجة ، ومن ثبت إسلامه بيقين ، لم يزل ذلك عنه بالشك ، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة» (١٨).

ويقول أيضاً: «إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين ، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين ، إلا إذا وجدت الشروط ، وانتفت الموانع ، يعين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه (١٩). ويسوق ابن تيمية بعضاً من الأعداء الواردة على المعين فيقول : «الأقوال التي يكفر قائلها ، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده، ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها ، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذر الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ؛ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية ، هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- ، وجماهير أئمة الإسلام» (٢٠). ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولاً يكون القول به كفراً ، فيقال : من قال بهذا القول فهو كافر ، لكن الشخص المعين إذا قال ذلك لا يحكم بكفره ، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها» (٢١).

وإذا ظهر لنا الفرق بين التكفير المطلق ، وتكفير المعين ، فسندرك خطأ فريقين من الناس ، فهناك فريق قد غلا وتجاوز فادعى تكفير المعين بإطلاق ، دون الالتفات إلى مدى توافر الشروط وانتفاء الموانع عن ذلك المعين ، وفي المقابل نرى فريقاً من الناس قد امتنع عن تكفير المعين بإطلاق ، وأوصد باب الارتداد.

٧- قيام الحجة :

من بلغه هذا الدين فقد قامت عليه الحجة ، وحكم الوعيد على الكفر لا يثبت في حق المعين حتى تقوم عليه حجة الله تعالى التي بعث بها رسله ، قال تعالى : ((لَا نُذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)) ، وقال سبحانه : ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)). وأما شرط قيام الحجة على المكلفين : «فالحجة على العباد إنما تقوم بشيئين : بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به، فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه ولا نهي..» (٢٢).

ومما يجدر ذكره أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمان والأماكن والأشخاص، كما قال ابن القيم: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ، ولم يحضر ترجمان يترجم له» (٢٣).

هذا ما تيسر عرضه لهذه المسألة، راجياً من الله تعالى حسن البيان، وسلامة القصد، وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش :

- ١ - الفتاوى ١٢ / ٤٦٨
- ٢ - إثثار الحق على الخلق ص ٤٥٥
- ٣ - المصدر السابق ص ٤٤٧
- ٤ - السيل الجرار ٤ / ٥٧٨
- ٥ - الدرر السنية ٢١٧/٨ .
- ٦ - منهاج التأسيس ص ١٢
- ٧ - انظر تفصيل ذلك : الفتاوى لابن تيمية ، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١ / ٩٤
- ٨ - الرد على البكري ص ٢٥٧ .
- ٩ - تهذيب الفروق ٤ / ١٥٨ ، ١٥٩
- ١٠ - انظر لسان العرب ٥ / ١٤٤ - ١٤٥ مادة كفر .
- ١١ - الدرء ١ / ٢٤٢
- ١٢ - الإحكام ١ / ٤٥ .
- ١٣ - يطلق بعض السلف الصالح معنى الجحود.. ويراد به التكذيب المنافي للتصديق ، كما يراد به الامتناع والرد والإباء ، فليس الجحود محصوراً في تكذيب كما ظن المرجئة ، انظر بيان ذلك في الفتاوى لابن تيمية ٢٠ / ٩٨ ، منهاج السنة النبوية ٥ / ١٣٠ ، والصارم المسلول ص ٥٢١-٥٢٢
- ١٤ - مختصر الصواعق المرسله ٢ / ٤٢١
- ١٥ - الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص ٢٠٣ .
- ١٦ - كتاب الصلاة ص ٥٣
- ١٧ - انظر تفصيل هذه المسألة في الفتاوى لابن تيمية ٧ / ٥١٠-٢٢٣ .
- ١٨ - الفتاوى ١٢ / ٤٦٦ (الكيلانية).
- ١٩ - المصدر السابق ١٢ / ٤٨٧ ، ٤٨٨
- ٢٠ - الفتاوى ٢٣ / ٣٤٦ ، ٣٤٨-٣٤٩ ، والرد على البكري ص ٢٥٩
- ٢١ - الدرر السنية ٨ / ٢٤٤
- ٢٢ - الفتاوى لابن تيمية ٢٠ / ٥٩ .
- ٢٣ - طريق الهجرتين ص ٤١٤ .

جولة ثانية

في الهجوم على العمالقة

محمد عبد الله آل شاكر

- ١ -

أصبحت المختصرات الماسخة للأصول المطولات من تراثنا كثيرة كثرة تستلفت النظر وتدعو للوقوف عندها. وأصل فكرة الاختصار هذه ، وواقعها عند أدعياء التيسير والتهذيب اليوم؛ محل نظر.

ويطول بنا الحديث لو رحنا نستقصي آثارها ومظاهرها «فحسبنا - إذن - أن نشير إلى دراسة ممتعة في هذا ، قدمها الشيخ عثمان عبد القار صافي ، من طرابلس الشام ، بعنوان: «أخطار على المراجع العلمية لأئمة السلف» (طبع دار الفاروق بالطائف) وهي دراسة تمهيدية تهدف إلى المحافظة على التراث العلمي الإسلامي والتحذير من العبث به. وكان للشيخ عثمان فضل سبق والريادة في ذلك ، أقام كتابه هذا على دراسة لبادرة الشيخ محمد علي الصابوني في كتابه «مختصر تفسير ابن كثير» و «صفوة التفاسير» ، وهي تصدق أيضاً على ما أصدره الشيخ بعد ذلك من مختصرات، مثل «مختصر تفسير الطبري» و «مختصر روح البيان» و «مختصر الأذكار».. وكأنه تخصص في السلك والمسح والاختصار. ومراجعة مختصر ابن كثير تقدم دليلاً على ذلك ، ولدي الكثير من الأمثلة جمعتها عندما كنت أقوم بتدريس هذا الكتاب في بعض المدارس الشرعية ، وكان مقرراً في برامجها!

- ٢ -

وأما العمل الذي لا أستطيع أن أجد له باباً أضعه فيه ، ولا أعرف له وصفاً جامعاً يناسبه أو يجمع كل ما ينبغي أن يقال فيه، فهو هذا العمل الجديد في كتاب «رياض الصالحين» للإمام النووي -رحمه الله- ، وهو بطبيعته المقصودة هذه قد أوفى على الغاية في جمال الإخراج ، وجودة الطباعة ، ورواء المنظر.

ولكن هذا الكتاب الذي كتب الله له القبول بين الناس منذ ثمانية قرون ، هي عمره منذ تأليفه، صدرت طبعته الجديدة عن "دار طيبة" بمكة المكرمة و"المكتبة الإسلامية" في عمان بالأردن، «ومن حق الأخيرة أن تُقدّم لعلة يعرفها من يقرأ المقدمة». «حققه وقدم له وهذبه وخرجه: حسان عبد المنان» و «راجع تخريجه والحكم على أحاديثه: شعيب الأرنؤوط» الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ. وأمل من القارئ الكريم أن يتابع معي هذه العبارات التي تتوسط غلاف الكتاب: «تمتاز هذه الطبعة بضبط نصوصها ، وتهذيبها، وتخريجها، والاقتصار فيها على الصحيح، مع بيان الضعيف منها في فصل خاص، وترتيب أحاديثها في الأبواب المناسبة لها ، ووضع عناوين فرعية لها ، وشرح غريبها ، وما أشكل منها». (انتهى)

هذه ثماني مميزات لهذه الطبعة يمتن بها علينا الشيخ «عبد المنان» ، ولن نعدو الصواب إذا قسمناها إلى قسمين ، أحدهما: كذب ، والآخر: جريمة واعتداء على الإمام النووي ومسح لكتابه ، وإليك البيان :

أما «ضبط النصوص ، وتخريجها ، وشرح غريبها ، وما أشكل منها» فليس هذا ميزة خاصة بهذه الطبعة ، فقد سبق لهذه الميزات طبعات كثيرة - مجتمعة أو متفرقة - كتلك التي حققها وفهرسها وضبط وشرحها الدكتور صبحي الصالح (رحمه الله) ، وكذلك طبعة الأرنؤوط ، والدقاق.. وغيرهم. وقد ذكر المحقق عدداً منها في مقدمته.

وأما «تهذيب نصوصها» - ونصوص الكتاب كلها آيات وأحاديث - فلست أدري والله - ما الذي يحتاج إلى «التهذيب» ، أهذه النصوص الكريمة أم الذي قام بتهذيبها نفسه؟ وما أدري - وما أخال عاقلاً يدري - من الذي أعطى هذا الحق لصاحبنا المحقق المذهب أن يقوم بترتيب أحاديث الكتاب في الأبواب المناسبة لها (بزعمه ، وكأن النووي -رحمه الله- لم يدرس أصول الترتيب والتأليف على المحقق! كان ينبغي أن يتعلم منه قبل أن يُخلَق!) ، والاقتصار على الأحاديث الصحيحة كذلك ، مع بيان الضعيف منها في فصل خاص ، وهو يطبع الكتاب باسمه المعروف وباسم مؤلفه! وأنا أستحلف

الأخ المحقق ، فأقول له : بربك الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ، قل لي : هل هذا هو «رياض الصالحين» نفسه بنفسه وفصه ، كما وضعه المؤلف؟ وأقسم يمينا غير حانث : أنه ليس هو!! فَلِمَ هذا التزوير والعبث والافتئات؟ وحرام على من يشتغل بعلوم السنة وتحقيق أحاديثها أن يكون هذا شأنه مع نصوصها وكتبها وعلمائها. ثم نأتي إلى قضية الأحاديث الضعيفة تلك التي حذفها من الأصل ورمى بها إلى الملحق بذي الكتاب في فصل خاص ، والتي يهول بها أغيلمة التحقيق والمتاجرون برياض الصالحين وغيره ؛ يقول النووي -رحمه الله- : «فرايت أن أجمع مختصراً من الأحاديث الصحيحة.. وألتزم فيه ألا أذكر إلا حديثاً صحيحاً من الواضحات ، مضافاً إلى الكتب الصحيحة والمشهورات..» أفلا يمكن أن نقول : إن ما رآه المحقق الفاضل ضعيفاً ، أو حكم عليه بالضعف، هو صحيح بنظر النووي على الأقل (بل بنظر البخاري ومسلم، فمن الأحاديث التي ضعفها المحقق عدد من أحاديث الشيخين !) فيكون ذلك من باب اختلاف العلماء في التصحيح والتضعيف (وقد دخل صاحبنا في زميرتهم)؟!

أو لا يمكن أن نخفف من حدة الأمر والتهويل به؛ بأن هذا كله في أبواب الترغيب والترهيب ونحوها ، التي يتساهل العلماء في الرواية فيها بشروطهم ، حيث يقول الإمام أحمد وغيره : إذا روي في الترغيب تساهلنا ، وإذا روي في الأحكام أردنا هكذا - وقبض يده -؟ وإلا فهل كان البخاري عاجزاً عن انتقاء أحاديث «الأدب المفرد» مثلاً من الصحاح بشرطه المعروف؟ وكذلك الذهبي في كتابه «الكبائر»، والنووي في «الرياض»، بحيث لا يخالفهم الشيخ عبد المنان في تصحيحها؟

أما هذا الترتيب لأحاديث الكتاب «في الأبواب المناسبة لها» - كما قال- فهو تغيير يمس أصل الكتاب. وليس من حق المحقق أن يغير الكتاب بما يراه ، وإذا أراد ترتيباً معيناً فيمكن أن يكتب كتاباً يرتبه كما يشاء. والغريب أنه يفعل فعلته تلك ، وهو الذي لازم شيخه الأرئوط في البحث والتحقيق ست سنوات في مكتب التحقيق بمؤسسة الرسالة ، عندما كان يحقق أمهات كتب الحديث والتراجم (صحيح ابن حبان، العواصم والقواصم ، شرح مشكل الآثار.. شرح الطحاوية.. سير أعلام النبلاء) فهل كان عمل مكتب التحقيق بإشراف الشيخ الأرئوط هو السطو على كتب الأئمة وتغيير ترتيبها؟ ولست أدري كيف فات هذا العمل في الترتيب كل من قام بتحقيق الكتاب وطبعه قبل الشيخ عبد المنان؟ لعل فيهم من لا يعرف أهمية هذا العمل وخطورة الأحاديث الضعيفة؟ فماذا نقول إذن عن الشيخ الألباني؟!

فإذا غادرنا صفحة الغلاف إلى المقدمة نجد المحقق يقول معدداً ما امتاز به عمله ، فيذكر الأمر الأول ، وهو : «تهذيب الكتاب واختصاره في صورة لا تخل بمقصود الكتاب ، بل تزيده دقة وفائدة (والحمد لله على التواضع والإنصاف ، فقد أشار إلى أن في الكتاب دقة وفائدة ، ولكنهما بحاجة إلى زيادة) ويسهل تناوله أكثر بين الناس ، دون إنقاص فائدة من فوائده ، وكانت الغاية من هذا التهذيب أن ينال الكتاب بأقرب الصور ، ويقرأ دون ملل في وقت قصير..».

أما أولاً: فإن كلام المحقق صريح في أنه اختصر الكتاب. فليكن إذن عنوان المطبوع «مختصر رياض..» وإلا فكيف ينسب للنووي كتاباً لم يضعه بهذه الصورة؟

وثانياً: هذا «التهذيب» الذي يدندن حوله ، فمرة أخرى أسائل القراء الكرام : من الذي يحتاج فعلاً إلى تهذيب (بل إلى تعزيز وتأديب)؟..

والتطاول على النووي - ثالثاً - صريح في تلك العبارة ، وفي غيرها صراحة أكثر ، لأن مفهوم كلام صاحبنا أن الكتاب كان بحاجة إلى زيادة «دقة وفائدة» فجاء التهذيب والاختصار تحقيقاً لذلك. ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه.

وما إخال إنساناً سوياً ، خلقه الله ووهبه عقلاً ، يشكو صعوبة تناول كتاب النووي ، حتى جاء صاحبنا ليسهل له ذلك بالتهذيب كيما يناله بأقرب الطرق (حتى ولو كانت مشروعة). والغريب حقاً: أنه يفعل ذلك «ليقرأ الكتاب دون ملل في وقت قصير» مع أن صفحاته الستمائة تقريباً تعادل حجم الأصل ، ومن ذا الذي سمعتموه - يا معشر القراء العقلاء - يشكو من طول الكتاب ومن الملل في قراءته؟

ورابعاً: زعم المحقق أنه اختصر الكتاب ليسهل تناوله «دون إنقاص فائدة من فوائده» كيف يصح هذا ، وهو الذي كتب في بيان عمله متبججاً أنه : حذف الآيات المتكررة المعنى واللفظ ، وحذف المكرر من الحديث ، وحذف تخريجات النووي ، وحذف بعض الأبواب ، وبعض الأحاديث الصحيحة (!).. حتى بلغ الحذف أحد عشر بنداً. فهل كان هذا المحذوف لا يخلّ بفائدة من فوائد الكتاب؟ وهل كان ذلك كله حشواً ، فجاء هو لينزه الكتاب عنه ؟ ولست أدري ما الذي تركه للمحققين من بعده ليحذفوه في طبعات أخرى؟

ثم يبلغ التطاول حداً كبيراً يتجاوز السنة ويصل إلى القرآن الكريم ، فهو يحذف «الآيات المتكررة المعنى واللفظ إن كانت في باب واحد». فما أدري - والله - ماذا يقول علماؤنا في هذا؟ أين يجدون الآيات الكريمة المتكررة لفظاً ومعنى؟

وإن كنا قد فهمنا غرض المحقق من حذف الأحاديث الضعيفة ، فكيف نفهم غرضه من «حذف بعض الأحاديث الصحيحة من الكتاب إذا كانت هذه الأحاديث مما ذكرته (أي المحقق) في الباب نفسه في الحاشية». فهل أصبح من مقاصد الشريعة وغايات التحقيق أن نحذف من المتن لأجل الحاشية؟ فننزل بالأصل مكاناً ومكانة ، ونرتفع بالحاشية مكانة ، فينقلب الأمر رأساً على عقب؟!

- ٣ -

فإذا وصلنا إلى البند الثاني من الميزات التي امتازت بها طبعة صاحبنا وجدناه «بيان الأحاديث الضعيفة في الكتاب» كيف يكون هذا ميزة له ، وهو يكتب بخط يده «أن كثيراً من الطبقات أشارت إلى درجات الأحاديث صحة وضعفاً ، وكان أفضلها نسخة أستاذنا (أي أستاذه هو) المحدث شعيب الأرناؤوط ، ونسخة الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني ، ونسخة الدكتور فاروق حمادة»؟ وبالمناسبة هذه طبعات لهم وليست نسخاً لهم).

ولعل السبب في قوله ذاك : أنه - كما قال عنهم :- «قد فاتهم من بعض الأحاديث الضعيفة فحسّوها أو صححوها..» فجاء هو ليستدرك عليهم بتواضعه وأدبه الجم ، ويلتمس لهم العذر في أنهم اعتمدوا «في الحكم على رواة تلك الأحاديث على كتاب "التقريب" للحافظ ابن حجر (رحم الله ابن حجر ، ماذا كان سيفعل لو علم أن جيلاً قادماً سيقول في كتابه ما قال صاحبنا؟ لعله كان يسجر التنوير بأوراق كتابه ويكفي الناس همّ النقد والتعب). والكتاب كما لا يخفى على ذي بصيرة قد جانب الإصابة في الحكم على عدد لا بأس به من رجاله ، ووقع في أخطاء واضحة.. (والنقط هذه من المحقق !!) وكان قد أنبهني إلى بعضها أستاذي المحدث شعيب الأرناؤوط حفظه الله ، فرسم لي الطريق وأفادني من علمه ، ومشيت في ركب البحث والتنقيب عنه حتى صار عندي منها الكثير ، والنية متجهة إن شاء الله لإكمال الشوط الذي بدأناه بإشراف شيخنا ومعاونته».

وصاحبنا متواضع ومتثبت فيما يقول ، فهو لا يلقي الكلام على عواهنه ، ولا يمنّ علينا فهو يقول : «.. وهذه الأحاديث التي ذكرتها فصّلت القول فيها تفصيلاً شافياً بإيجاز ، مبيناً علّتي في تضعيف الحديث» ، ولذا فهو لم يحذف هذه الأحاديث الضعيفة من الكتاب ، بل جعلها في فصل مستقل بآخره «ليأخذ منها ويستفيد بها مَنْ لا يرى ضَعْفَ الأحاديث التي ذكرتُ (أي عبد المنان) لِعَلَّهم أصابه أو شاهدٍ رآه يَقْوِي الحديث..».

إذن ، دَعَّها في مكانها وأرَحَ نفسك من عناء نقلها ، وتغيير الكتاب ، وتواضع ثانية كما هي عادتك ، فإن من القراء من لا يرى ضعفها فيستفيد منها في مكانها وسياقها. ولا داعي للافتتات على النووي ، ولا حاجة للعبث بكتابه وتقطيع أوصاله. (وبالمناسبة لشدة تواضعه ، قد يميل إلى تضعيف حديث ضعفه غيره أيضاً ولكنه مع هذا الميل لا يحذفه ، ولا أدري لماذا خالف قاعدته؟).

وبمناسبة التصحيح والتضعيف والتواضع : هل يتكرم المحقق الفاضل فيبين لنا محل هذه الجملة من الإعراب عندما يقول : «وافقتني عليه الشيخ الألباني» والكل يعلم أن تحقيق الألباني على الأقل أسبق من تحقيقه هو بسنوات. فمن الذي يوافق الآخر. ورحم الله أياماً كان الطلاب يوقرون أساتذتهم وشيوخهم ولا يتنفخون عليهم !!

ومن قبل ومن بعد: لِمَ هذا الازدراء والإهمال للعلماء السابقين الذين كان لهم باع في التصحيح والتضعيف ، ولهم مكانتهم ، ولكلامهم وحكمهم وزن ، لِمَ يعرض عنهم صاحبنا ، ويكتفي بموافقة شيخه له في تضعيفه للحديث أو حكمه عليه؟ حتى تكررت هذه العبارة وكثرت كثرة ملفتة للنظر ، فأصبحت ممجوجة. وإذا كان فضيلة المحقق أميناً دقيقاً في عبارته حين يقول «وافقتني الشيخ شعيب ترجيحاً»! فلماذا لا يكون أميناً دقيقاً عند تحقيقه للكتاب ، فيعبث به هذا العبث ، ويخون الأمانة ويجانب الدقة؟

ومما يتصل بالأمانة والدقة في التحقيق ، ولكن صاحبنا يغفله ، أنه يُدْخِلُ كلامه ضمن نصّ الكتاب عند الإحالات الكثيرة عقب الأحاديث ، كقوله : انظر حديث كذا.. وحديث كذا.. بما قد يبلغ أسطراً عديدة ، بل يتجاوز نصف الصفحة بحرف صغير.

والنكتة البارعة الأخيرة ، يطلقها صاحبنا فيقول في ص (٥٠٧): «وحرصاً مني على إتمام الفائدة للعامة والخاصة أذكر هنا في هذا الفصل الأحاديث الضعيفة في كتاب «رياض الصالحين» وقد بلغت عندي أكثر من مائة، وعقبت بعد كل حديث بدليل ضعفه مع تخريجه بإيجاز. صحيح أن العامة أمثالي (حقيقة لا تواضعاً ، وعلى الأقل في مجال التحقيق) يستفيدون من ذلك ، ولكن ما حاجة الخاصة - طبعاً من علماء الحديث والمحققين منهم - ما حاجتهم لهذا الفضل؟ ومساكين كم فاتهم من علم وفوائد قبل أن يمنّ الأخ «عبد المنان» بإخراج هذا الكتاب.. ولا حول ولا قوة إلا بالله؟

مصطلحات

العقل

عثمان علي حسن

العقل لغة مصدر عقل، يعقل، عقلاً، فهو معقول، وعاقل. وأصل معنى العقل المنع، يقال: عقل الدواء بطنه ، أي أمسكه ، وعقل البعير: إذا ثنى وظيفه إلى ذراعه ، وشدهما بحبل؛ لمنعه من الهروب. وأطلق العقل على معان كثيرة، منها: الحجر والنهي، والدية؛ لأن القاتل يسوق الإبل

إلى فناء المقتول ثم يعقلها هناك ، ويطلق - أيضاً - على الملجأ والحصن، وكذلك القلب (١)؛ ولذا قال عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - في ابن عباس - رضي الله عنهما -: «ذاكم فتى الكهول ، إن له لساناً سؤولاً ، وقلباً عقولاً» (٢) وما تقدم من إطلاقات فهي تدور حول المنع. وفي الاصطلاح فالمختار هو أن يقال : العقل يقع بالاستعمال على أربعة معان (٣): الغريزة المدركة ، والعلوم الضرورية ، والعلوم النظرية ، والعمل بمقتضى العلم. الأول : الغريزة التي في الإنسان ، فيها يعلم ويعقل ، وهي كقوة البصر في العين ، والذوق في اللسان ، فهي شرط في المعقولات والمعلومات ، وهي مناط التكليف ، وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان.

الثاني: العلوم الضرورية وهي التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات ، والواجبات، والممتنعات. والفلاسفة والمتكلمون عرفوا العقل بها ، ومنهم - كالباجي - من قسمها إلى قسمين: قسم يقع في الناس ابتداءً، والآخر يحصل بالاكتساب، وخصوا العقل بالقسم الأول. **الثالث:** العلوم النظرية ، وهي التي تحصل بالنظر والاستدلال ، وتفاوت الناس وتفاضلهم فيها أمر جلي وواقع.

الرابع: الأعمال التي تكون بموجب العلم (٤) ولهذا قال الأصمعي : «العقل : الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسن» (٥). وقيل لرجل وصف نصرانياً بالعقل : «مه ، إنما العاقل من وحد الله وعمل بطاعته» (٦) وقال أصحاب النار: ((لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)) [الملك ١٠]. فتعريف بعض الناس العقل بذكر بعض هذه المعاني ليس بجامع ، والصواب ذكر معانيه مجتمعة.

وفي كل معاني العقل المتقدمة لا يوصف بأنه جوهر قائم بنفسه ، خلافاً للفلاسفة ، ومن شايعهم من المتكلمين (٧) ، بل العقل صفة أو عرض - عند من يتكلم بالجواهر والعرض - يقوم بالعاقل ، وكونه صفة يمنع كونه أول المخلوقات ، لأن الصفة لا تقوم بنفسها (٨).

التفاوت في العقول:

عرف الباجي العقل بأنه : «العلم الضروري ، الذي يقع ابتداءً ويعم العقلاء» ويلزم منه أن يكون الناس في عقولهم سواء ، وهو مذهب المعتزلة ، والأشاعرة ، ووافقهم ابن عقيل من الحنابلة ، وهو ما ذهب إليه الفلاسفة (٩)

وعلى رأسهم ديكارت القائل بأن : «العقل هو أحسن الأشياء توزعاً بين الناس بالتساوي..» إلى أن قال : «إن اختلاف آرائنا لا ينشأ من أن البعض أعقل من البعض الآخر..» (١٠). وحجة المتكلمين - في عدم - تفاوت العقول واختلافها - هي أن العقل حجة عامة، يرجع إليها الناس عند اختلافهم ، ولو تفاوتت العقول لما حصل ذلك ، وهذا مبني على مذهبهم في تعريف العقل ، بأنه : بعض العلوم الضرورية والتي لا يختلف الناس عليها ، والصواب ما تقدم ، وهو أن مسمى العقل يشمل العلوم الضرورية ، والنظرية ، فالتحاكم إلى العلوم الضرورية يمنع النزاع والاختلاف (١١) ، والتحاكم إلى العلوم النظرية يحتمل النزاع والاختلاف، وهذا مشهور بين الناس ولا سيما المشتغلين بالعلوم العقلية من الفلاسفة والمتكلمين ؛ حيث يكثر بينهم التنازع والاختلاف. والحق أن يقال : إن العقول تتفاوت من شخص إلى شخص ، بل قد يحصل هذا التفاوت في الشخص الواحد ، كما قال الشاطبي - رحمه الله - : «فالإنسان - وإن زعم في الأمر أنه أدركه ، وقتله علماً - لا يأتي عليه الزمان ، إلا وقد عقل فيه ما لم يكن عقل ، وأدرك من علمه ما لم يكن أدرك قبل ذلك ، كل أحد يشاهد ذلك من نفسه عياناً ، ولا يختص ذلك عنده بمعلوم دون معلوم..» (١٢)

وحديث: «..ما رأيت من ناقصات عقل ودين، أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن..» (١٣) مما يمكن الاستدلال به على هذا التفاوت، إذ الحديث دل بمنطوقه على النقصان، وبمفهومه على الزيادة وهو معنى التفاوت ، بل هو دليل على تفاوت العقل الغريزي أيضاً لأن الرسول صلى الله عليه وسلم- قرر أن جنس النساء فيه نقصان العقل ، وهذا لا يكون إلا في الغريزة التي خلق بها، ولأن التفاوت في الجانب الكسبي فرع عن التفاوت في الجانب الغريزي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «الصحيح الذي عليه جماهير أهل السنة ، وهو ظاهر مذهب أحمد، وأصح الروايتين عنه، وقول أكثر أصحابه ، أن العلم والعقل ونحوهما يقبل الزيادة والنقصان» (١٤).

مكان العقل :

اختلف أهل العلم في مكان العقل من جسم الإنسان، فقالت الأحناف والحنابلة وهو مذهب المعتزلة: إن العقل محله الدماغ ، أي الرأس، ودليلهم : أنه إذا ضرب الرأس ضربة قوية زلزل معها العقل، وقالوا - أيضاً - : إن العرب تقول للعاقل، وافر الدماغ، ولضعيف العقل، خفيف الدماغ ، وهو محل الإحساس.

وقالت المالكية والشافعية: محله القلب ، وعليه بعض الحنابلة ، ونسب إلى الأطباء (١٥)، وصححه الباجي ودليلهم قوله تعالى : ((فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا)) [الحج: ٤٦] فأضاف منفعة كل عضو إليه ؛ فمنفعة القلب التعقل كما أن منفعة الأذن السمع ؛ وقد تقدم كلام عمر ابن الخطاب في ابن عباس - رضي الله عنهم - : «ذاكم فتى الكهول ، إن له لساناً سوءاً ، وقلباً عقولاً».

والتحقيق أن العقل له تعلق بالدماغ والقلب معاً، حيث يكون مبدأ الفكر والنظر في الدماغ ، ومبدأ الإرادة والقصد في القلب، فالمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد، والتصور محله الدماغ (١٦)، ولهذا يمكن أن يقال: إن القلب موطن الهداية ، والدماغ موطن الفكر؛ ولذا قد يوجد في الناس من فقد عقل الهداية - الذي محله القلب - واكتسب عقل الفكر والنظير - الذي محله الدماغ - كما قد توجد ضد هذه الحال.

الهوامش :

- ١- انظر: لسان العرب ٤٥٨/١١ وما بعدها مادة : عقل ، والقاموس المحيط وما بعدها مادة : عقل.
- ٢- رواه الحاكم في مستدركه ٥٣٩ / ٣ وقال عنه الذهبي : منقطع.
- ٣- انظر: إحياء علوم الدين لأبي حامد بن محمد الغزالي ٨٥/١ - ٨٦ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٧/٩ ، ٣٠٥ ، ٣٣٦/١٦ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٨٩/١ والمسودة ص: ٥٥٨-٥٥٩ ، والذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص: ٩٣ والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢٠/٢ .
- ٤- وقد أشار ابن تيمية - رحمه الله - إلى هذا المعنى في أكثر من موضع من مصنفاته، وذلك لأهميته ، إذ هو ثمرة العقل وفائدته ، فلا عقل لمن لم يعمل بموجب ما هداه إليه عقله ، والعقل السليم يدعو إلى الإيمان بالله ورسالاته ، فمن خالف ما جاءت به الرسل فقد خالف عقله رغم ادعائه أنه من أرباب العقول، وأساطين الفهم، فالمشركون - مثلاً - عرفوا توحيد الربوبية، ولم يلتزموا بلازمه، الذي هو توحيد الألوهية، رغم التلازم العقلي الفطري بينهما، وأهل الكتابين أيضاً عرفوا صدق الرسالة، وصحة النبوة - كما يعرفون أبناءهم - ولكنهم لم ينفادوا إلى ذلك؛ فكانوا كمثّل الحمار يحمل أسفاراً.
- ٥- كتاب المخصص لابن سيده : المجلد الأول - السفر الثالث ص : ١٦ المكتب التجاري - بيروت (بلا تاريخ).
- ٦ - الذريعة للراغب ص ٩٦.
- ٧- انظر: (كتاب الحدود) لابن سينا ص : ١٢-١٣ .

- ٨- انظر مجموع الفتاوى ٣٣٨/١٨ ، وقد روى المتكلمون في ذلك حديثاً هذا نصه : «أول ما خلق الله العقل ، فقال له أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً أكرم علي منك ، بك آخذ وبك أعطي ، وبك أتيب وبك أعاقب» انظر: الذريعة للراغب ص : ٩٢ ، وهذا الحديث - كذب موضوع باتفاق أهل الحديث ، ولا يوجد في الكتب المعروفة المعتمدة ، والذي فيها - على علته - فهو بلفظ : «أول ما خلق الله العقل ، بفتح «أول» لا ضمه ، أي أن الله (تعالى) قال ذلك في أول أوقات خلق العقل ، لا أنه أول المخلوقات ، لكن الفلاسفة ، ومن شايعهم من باطنية الشيعة ، والمتصوفة ، والمتكلمة ، أبوا إلا أن يرووه بالضم ليوافق هواهم.
- ٩- انظر: شرح الكوكب المنير لأبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى ص : ٢٥.
- ١٠- مقال عن المنهج - رينيه ديكارت - ترجمة : محمود محمد الخضيرى ص : ٣-٤ .
- ١١- مع أن كون العلم ضرورياً أو نظرياً هو من المسائل الإضافية النسبية ، والتي يختلف فيها الناس ، فقد يكون ضرورياً عند زيد ما هو نظري عند عمرو ، فالعلم وإن كان ضرورياً في نفسه ، فقد يصبح نظرياً من جهة تعلقه بشخص ما ، لسبب ما.
- ١٢- انظر الاعتصام ٣٢٢/٢
- ١٣- صحيح البخاري ٤٠٥/١
- ١٤- انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٧٢١/١٠-٧٢٢
- ١٥- انظر: شرح الكوكب المنير ص ٢٤ ، وهم الأطباء المتقدمون ، أما المعاصرون فلا أتصور موافقتهم على ذلك.
- ١٦- انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠٤/٩ .

الأفكار أساس التغيير

محمد محمد بدري

تنطلق أي أمة من الأمم في دربها الحضاري من مجموعة الأفكار التي على أساسها تشيد الأمة صرح حضارتها ، ويقدم الواقع شواهد عديدة على أن سلوك الأفراد في مجتمع من المجتمعات ما هو إلا الترجمة العملية لما يؤمنون به من أفكار ، ولهذا نجد أن المجتمعات تتقدم أو تتخلف تبعاً لنوعية الأفكار التي يعتنقها أفرادها «فصحة المجتمعات أو مرضها أساسهما صحة الفكر أو مرضه» (١) و«المجتمعات التي تدور في فلك الأفكار الصحيحة، تتفوق على تلك التي تدور في فلك الأفكار الخاطئة ، كما كانت حال الأمة المسلمة الأولى في صدر الإسلام وتفوقها على مجتمعات الرومان والفرس وغيرها» (٢).

ومعلوم أن جزيرة العرب لم يكن بها قبل نزول القرآن إلا شعب بدوي يعيش في صحراء مجدبة ، حتى إذا جاءت أفكار الرسالة ، تحول الرجال الذين لا يزالون في بداوتهم والقبائل ذات الحياة الراكدة.. تحول هؤلاء إلى رجال يحملون للعالم الحضارة ويقودون فيه التقدم والرقى. فماذا دخل حياة المجتمع العربي يومئذ؟ «لم يدخل حياته عامل جديد ينقله تلك النقلة الهائلة في كل جانب من جوانب الحياة ، إلا ذلك التصور الاعتقادي الجديد .. ذلك التصور الذي جاء إلى عالم الإنسان بقدر من الله ، والذي انبثق منه ميلاد للإنسان جديد» (٣).

فهناك فكرة قد تجعل إنساناً ينحني ويسجد لصنم من الحجر ، وفكرة أخرى تجعل إنساناً آخر يحمل الفأس ليكسر ذلك الصنم!! ولأن الأفكار بهذا القدر من الأهمية، فإنه ومنذ أن تقرر في أوكار

الصهيونية تدمير الخلافة الإسلامية، وأعداء الأمة الإسلامية يحرضون على تخريب الفكر الإسلامي وتشويه العقل المسلم من ناحية ، ومن ناحية أخرى يقومون برصد الأفكار الفعالة التي تحاول إحياء الأمة ، لكي يقضوا عليها في مهدها أو يحتوها قبل أن تصل إلى جماهير الأمة فتصحح وجهتها أو تعدل انحرافات أفرادها ، ولتبقى الجماهير إذا اجتمعت تجتمع على أساس العاطفة وتحت سلطانها، وليس على أساس (الفكرة.. والمبدأ)..

ومن هنا كانت مخططات أعداء الإسلام «لاحتواء وتدمير الأمة الإسلامية تهدف دائماً إلى هزيمة الأمة (فكرياً) ، لأن هزيمة الأمة في أفكارها تجرّدها من الحصانة وتتركها فريسة لأي مرض أو وباء فيسهل بعد ذلك احتواؤها وتفكيك معتقداتها» (٤).

وإذن فالمعركة بين الأمة الإسلامية ، وأعدائها.. ليست معركة واحدة في ميدان الحرب ، بل هي معركة في ميدانين .. ميدان الحرب ، وميدان الفكر.. والأعداء حريصون في ميدان الفكر على (احتلال) عالم (الأفكار) في أمتنا، وحريصون في نفس الوقت على توزيع (نفائياتهم) الفكرية من أفكار اللغو كاشعار الغزل والقصص الجنسي والأدب العاري.. وما إلى ذلك ، حريصون على توزيع هذه النفائيات إلى أمتنا ، لأنهم يعلمون أن الأمة التي تنتشر فيها هذه الأفكار الفاسدة تصبح غثاء تدور به «الدوامات السياسية العالمية ، ولا يملك نفسه عن الدوران ولا يختار حتى المكان الذي يدور فيه ، وهذا ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم- وحذر منه : «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال : إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل» (٥).

إن أحاطة عدونا بنا، ووصولنا إلى مرحلة الشتات والفرقة، ودخول أمتنا مرحلة (القصة).. كل ذلك «دليل على وجود خلل في البنية الفكرية والطروحات العقيدية التي أثمرته ، مهما كانت دعاوانا عريضة ، وأصواتنا مرتفعة بالادعاء أننا على النهج السليم» (٦) ، ولذلك فإن العاملين في ميدان (إحياء) الأمة لا بد لهم من التمييز بين (أسباب) مرض أمتنا و(أعراض) هذا المرض، فالأسباب في الحقيقة (فكرية) أساسها المعتقدات والقيم والأفكار، أما الأعراض فهي سياسية واقتصادية واجتماعية.. ، ومن هنا فإن بداية أي تغيير لا بد أن تحدث في الأفكار ، وبقدر ما تملك الأفكار رصيذاً قوياً من الاستجابة لدى الأمة وتغييراً ملحوظاً في مجال سلوكيات أفرادها وعلاقاتهم الاجتماعية ، ستتحوّل هذه الأفكار ثقافة معطاءة يمكن أن نقول إنها تشكل نقطة البدء في التغيير المنشود.

الهوامش :

١- هكذا ظهر جيل صلاح الدين - د. ماجد عرسان الكيلاني ص ٢٤٧

٢- إخراج الأمة المسلمة - د. ماجد الكيلاني ص ٨٨

٣- مقومات التصور الإسلامي - سيد قطب ص ٢٢ .

٤- المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية-- عبد الله الشبانة ص ١٧

٥-واقعا المعاصر - محمد قطب ص ٣٥٦.

٦- نظرات في مسيرة العمل الإسلامي - عمر عبيد حسنة ص ٢٥.

عندما يئن العفاف

صرخة مسلمة من بلاد البوسنة والهرسك

شعر: عبد الرحمن العشماوي

أطرقت حتى ملّني الإطراق وبكيت حتى احمرت الأحداق
 سامرت نجم الليل حتى غاب عن عيني، وهذّ عزيمتي الإرهاق
 يأتي الظلام وتنجلي أطرافه عنا، وما للنوم فيه مذاق
 سهر يؤرقني ففي قلبي الأسى يغلي، وفي أهدابي الحُرّاق
 سيّان عندي ليلنا ونهارنا فالموج في بحريهما صفّاق
 قتلٌ وتشريدٌ وهتكٌ محارمٍ فينا، وكأس الحادثات دهاق
 أنا قصة صاغ الأنين حروفها ولها من الألم الدّفين سياق
 أنا أيها الأحباب مسلمةٌ لها قلبٌ إلى شرع الهدى تواق
 دفن الشيوعيون نبع كرامتي دهرًا، وطارت حولي الأطباق
 حتى إذا انكشف الغطاء وغرّدت أماننا، وبدا لنا الإشراق
 وقف الصليب على الطريق فلا تسل عما جناه القتل والإحراق
 وحشيّة يقف الخيال أمامها متضائلًا، وتمجّها الأذواق
 أطفالنا ناموا على أحلامهم وعلى لهيب القاذفات أفاقوا
 يبكون، كلاً، بل بكت أعماقهم ولقد تجود بدمعها الأعماق
 أطفالنا بيعوا، وأوربا التي تشري، ففيها راجت الأسواق
 أين النظام العالمي أماله أثر، ألم تنعق به الأبواق
 أين السلام العالمي لقد بدا كذب السلام، وزاغت الأحداق
 يا «مجلس الخوف» الذي في ظله كُسر الأمان، وضُيع الميثاق
 أو ما يحركك الذي يجري لنا أو ما يثيرك جرحنا الدّفاق؟!
 يُعفى عن الصرب الذين تجبروا واطغوا، ويُفرد بالعقاب عراق
 هذا وربك شر ما سمعت به أذن وما كتبت به الأوراق
 سرج العدالة مال فوق حصانها ولوى العنان إلى الورا نفاق
 كُشف الستار وبان كلُّ مُخبّي فإلى متى تتطامن الأعناق
 أنا أيها الأحباب مسلمة طوى أحلامها الأوباش والفساق
 أخذوا صغيري وهو يرفع صوته «أمي» وفي نظراته إشفاق
 ولدي؛ ويصفعني الدعي ويكتوي قلبي، ويُحكّم بابي الإغلاق
 ولدي، وتبلغني بقايا صرخة مخنوقة، ويُقهقه الأقفاق
 ويجرّني وغدّ إلى سردابه قسراً، وتظلم حولى الآفاق
 ويئس في صدري العفّاف ويشتكى طهري، وتغمض جفنها الأخلاق
 أنا لا أريد طعامكم وشرابكم فدمي هنا يا مسلمون يُراق
 عرضي يُدنّس أين شيمتكم أمافيكم أبي قلّبه خفّاق
 أختاه، أمتنا التي تدعونها صارت على درب الخضوع تُساق
 أودت بها قومية مشؤومة وسرى بها نحو الضّيع رفاق
 إن كُنْتَ تنتظرينها فسينتهي نفق، وتأتي بعده أنفاق
 مدي إلى الرحمن كفّ تضرّع فلسوف يرفع شأنك الخلاق
 لا تياسي فأمام قدرة ربّنا تتضاءل الأنساب والأعراق

الحركة العلمية في الحجاز في العصر الأموي (٢)

د. محمد أمحزون

يتابع الأخ الكاتب في هذه الحلقة الجهود العلمية في بلاد الحجاز في العصر الأموي بعد أن استعرض في الحلقة السابقة موضوع التفسير.

الحديث :

وفي هذا العصر برز ما يسمى بعلم الجرح والتعديل أو علم الرجال. وهذا العلم مما انفرد به المسلمون، ولا نظير له عند غيرهم من الأمم. والغرض منه الكشف عن أحوال رواة السنة، وتمييز الصادق من الكاذب، والضابط من الواهم، والموثق بروايته من المطعون فيها. وقد كان السبب في إنشاء هذا العلم الجليل أنه في أعقاب الفتن التي شهدتها العصر الأموي (١) ظهرت الفرق ذات الآراء السياسية المتعارضة والأهواء المذهبية المتعصبة، ففشى الكذب، وظهر الوضع، ولجأ أتباع هذه الفرق إلى الوضع في الحديث والأخبار. وهذا ما جعل العلماء يؤكدون على ضرورة التثبت في مصادر الرواية ويسألون عن الرجال الذين اشتركوا في نقلها.

وفي هذا الشأن يقول ابن سيرين (المتوفى سنة ١١٠ هـ): «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة (٢) قالوا: سموا لنا رجالكم فلينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم؛ وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم» (٣). ومما يدل على ذلك أيضاً قول ابن عباس - رضي الله عنه -: «إنا كنا نحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه» (٤). فعبر هنا ابن عباس عن الفتن بقوله ركوب الناس الصعب والذلول، ولذا كان لا يقبل إلا ما يعرف.

وقد تكلم عدد من التابعين في الجرح والتعديل مثل سعيد بن المسيب (المتوفى سنة ٩٤ هـ) ومحمد بن مسلم الزهري (المتوفى سنة ١٢٤ هـ) وعامر الشعبي (المتوفى سنة ١٠٣ هـ). وكان كل منهم بمثابة نواة لنشأة مادة واسعة في علم الرجال يتداولها العلماء والنقاد في العصور التالية (٥).

وتميزت تلك الفترة بنشاط الرحلة في طلب العلم، وذلك لبروز عامل جديد يحفز الطلاب إلى الرحلة، ذلك هو طلب الإسناد العالي؛ فهو أخصر طرق الحديث المتصلة. فبدلاً من أن يأخذ التابعي عن تابعي يرغب بدوره أن يأخذ عن صحابي، فيرحل إلى ذلك الصحابي فيروي عنه الحديث مباشرة، كما كان لظهور الوضع في الحديث أثر في تنشيط هذه الرحلات العلمية طلباً للحديث من مظانه، وتدقيقاً لمصادره، وبحثاً عن أصوله، وتحرياً عن رواته. وكان أغلب هؤلاء في المدينة المنورة قلب المجتمع الإسلامي النابض، والتي طبعت بحكم مركزها بطابع خاص في الحديث والرواية، وعرفت بالتدقيق والصرامة.

فهذا أبو قلابة عبد الله بن زيد البصري (المتوفى سنة ١٠٤ هـ) يقيم في المدينة ثلاثة أيام ما له حاجة إلا رجل كانوا يتوقعون قدومه كان يروي حديثاً، فأقام حتى قدم وسأله عن الحديث (٦). وحدث عامر الشعبي رجلاً بحديث ثم قال له: «أعطيناها بغير شيء، قد كان يركب فيما دونها إلى المدينة» (٧). وعن أبي العالية الرياحي (المتوفى سنة ٩٥ هـ) قال: «كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواهم» (٨). ولم تكن المدينة المنورة هي المعقل الوحيد للرواية، وإن كانت تحتل الصدارة في هذا

الباب، بل قصد طلاب العلم بلداناً ومدناً أخرى مثل مكة والطائف واليمامة وصنعاء(٩)، وذلك بسبب انتشار الصحابة في الأمصار.

وفي الواقع، كان للرحلة أثر في شيوع علم السنة وتكثير طرق الحديث ، كما كان لها أثر في معرفة الرجال بصورة دقيقة، لأن المحدث يذهب إلى البلدة فيتعرف على علمائها ويخالطهم ويسألهم. ولولا الرحلة في طلب العلم لوجد لكل مدينة طابعها الخاص المميز لها، مما يسبب العزلة العلمية ، ويذكي العصبية المحلية بين العلماء باتساع الخلاف على الأحكام. ولكن الحيوية والروح العلمية التي تحلى بها العلماء دفعتهم إلى جوب الآفاق وأخذ العلم من شتى المراكز الفكرية. على أن أولئك المحدثين لم يهتموا - مع الأسف - بتدوين أخبار الرحلات وأوصاف المدن التي شدوا الرحال إليها ، ولو فعلوا ذلك لقدموا معلومات غزيرة ومفيدة كتلك التي نجدها في كتب الرحلات المتأخرة مثل رحلة ابن جببر وابن بطوطة.

ومن مميزات ذلك العصر من الناحية العلمية الاهتمام بكتابة الحديث النبوي وتدوينه ، وذلك خلافاً لما يعتقد بعض المستشرقين مثل جولد تسيهر وبلاشير اللذين رفضا صحة الأخبار المتعلقة بكتابة الحديث وتدوينه في تلك الفترة المبكرة ، فجعلنا زمن بداية جمع الحديث أواخر القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث الهجري(١٠).

ومعنى هذا الرأي أن العرب كانوا في حال من البداوة لا تسمح لهم بالانتباه إلى التدوين والكتابة في فترة مبكرة مثل القرن الأول وسنرى من خلال عرض تاريخ الكتابة والتدوين عند المسلمين أن الرأي الذي جرد العرب في العصر الأموي من التصنيف والكتابة ، وجعل صدر الدولة العباسية مبدأ العلم والثقافة والتدوين عند العرب هو رأي أملاه الهوى وعدم الموضوعية. وحتى إذا افترضنا أن أصحاب هذا الرأي لهم نوايا حسنة ، فإنهم حين يحاولون فهم التاريخ الإسلامي على غير صورته فهم مخطئون فيما ذهبوا إليه.

لقد عرف المسلمون طرقاً متنوعة لتحمل أو تلقي العلم ، وهذا الجانب بحد ذاته سمة متميزة تنفرد بها الحضارة الإسلامية ، ولا يعرف لها في الحضارات الأخرى شبيهه. وهذا سبب أساسي لما حدث من لبس وسوء فهم في الدراسات الاستشرافية الحديثة. ففي كتب مصطلح الحديث يرد ذكر أصناف طرق تحمل العلم وهي متنوعة منها: السماع والقراءة والإجازة والمناولة والكتابة والوصية والوجادة. وفي كل الحالات المذكورة ليس الحفظ أمراً ضرورياً إلا في الحالتين الأوليين وهما السماع والقراءة.

فهذا أبو هريرة (المتوفى سنة ٥٩ هـ) رغم اشتغاره بقوة الذاكرة يبدو مع ذلك أنه قد أعد للرواية بعض الصحف. روى تلميذه بشير بن نهيك عنه قال: كتبت عن أبي هريرة كتاباً، فلما أردت أن أفارقه قلت : يا أبا هريرة! إني كتبت عنك كتاباً ، فأرويه عنك؟ قال : نعم اروه عني(١١). وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب (المتوفى سنة ٧٤ هـ) يكتب الأحاديث النبوية في رسائله(١٢) وكانت عنده كتب في العلم ينظر فيها. نقل إبراهيم الصائغ عن ابن عمر كانت له كتب ينظر فيها ، يعني في العلم (١٣). أما أنس بن مالك (المتوفى سنة ٩٤ هـ) فكان يحث أولاده على كتابة العلوم ويقول لهم : «يا بني قيدوا العلم بالكتاب»(١٤) ، حتى نقل عنه أنه كان لا يعد عالماً من لم يكتب علمه (١٥).

وتخبرنا المصادر في مواضيع كثيرة عن كيفية التدوين وطريقة النسخ في ذلك الوقت ؛ قال سعيد بن جببر إنه كان يكتب عند عبد الله بن عباس على الألواح حتى يملأها(١٦). وروى أحد التابعين أنه رأى طلاب العلم في مجلس البراء بن عازب الأنصاري (المتوفى سنة ٧٢ هـ/ ٦٩١ م) وهم يكتبون على أكفهم بالقصب (١٧).

وفي ضوء بعض الأمثلة في جيل التابعين يتضح بجلاء ما أبداه هؤلاء من همة في الكتابة، وكيف أنها كانت عادة معروفة في زمنهم، عكس ما يتوهمه بعض الباحثين من أن الاعتماد في النقل عند المحدثين مدى قرن ونصف كان على الذاكرة فقط، وعلى المشافهة بالتحديث، حتى اتخذه أعداء السنة سُلماً للطعن فيها. لقد كانت الكتابة عند التابعين إحدى طرق تلقي العلم المألوفة بجانب السماع والقراءة. وفي هذا الصدد يروي أحمد ابن حنبل أن الحكم بن عتيبة (المتوفى سنة ١١٣ هـ) أخذ عن مقسم بن بجرة (المتوفى سنة ١٠١ هـ) أربعة أحاديث سماعاً، أما سائر مروياته فقد أخذها كتابته (١٨). وذكر ابن أبي حاتم أن أحاديث عبد الأعلى عن محمد ابن الحنفية (المتوفى سنة ٧٣ هـ) كانت من كتاب، ثم يؤكد ذلك بقوله: «قلت يعني أنها ليس بسماع» (١٩).

وغالباً ما نجد في المصادر معلومات عن استعارة الكتب في ذلك الوقت! حيث استعار حيدر الطويل كتب الحسن البصري (المتوفى سنة ١١٠ هـ) فنسخها وردها عليه (٢٠). كما استعار الليث بن أبي سليم كتاباً من حسن ابن مسلم (المتوفى سنة ١٠٦ هـ)، وقال هُزُر أخو حسن بن مسلم لرجل: «إذا قدمت فعرج على ليث بن أبي سليم وقل له حتى يرد كتاب ابن حسن بن مسلم فإنه أخذه منه» (٢١). وذكر معمر بن راشد أنه نسخ كراستين حول المغازي عن التابعي عثمان الجزري المشهور بعثمان المشاهد، استعيراً منه ولم يعودا (٢٢).

وقد سعى بعض الحكام الأمويين إلى جمع الحديث وتدوينه، ويعد مروان ابن الحكم (المتوفى سنة ٦٥ هـ) أول وال أموي أراد أن يحفظ معارف مشاهير الصحابة ويصونها من الضياع. فيروى أنه استقدم زيد بن ثابت - رضي الله عنه - عندما كان عاملاً على المدينة، وطرح عليه أسئلة والكتاب جالسون خلف ستر يدونون الإجابات (٢٣). وكتب ابنه عبد العزيز بن مروان عندما كان والياً على مصر (٢٤) إلى التابعي كُثَيْر بن مُرَّة الحضرمي (المتوفى سنة ٧٥ هـ) أن يكتب له ما سمعه من أحاديث الصحابة سوى أبي هريرة لأن حديثه كان مجموعاً عنده (٢٥). ثم جاء حفيده عمر بن عبد العزيز بن مروان إلى الخلافة، فكتب إلى عامله على المدينة أبي بكر بن حزم: «انظر ما كان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله» (٢٦). وأراد منه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية (المتوفاة سنة ٩٨ هـ) والقاسم بن محمد (المتوفى سنة ١٢٠ هـ) (٢٧)، لأنهما أعلم الناس بحديث عائشة.

لكن المحاولة الشاملة في الجمع والنسخ قام بها إمام جليل آخر هو محمد ابن شهاب الزهري المدني حيث استجاب لطلب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وكان شغوفاً بجمع الحديث والسيرة، فجمع حديث المدينة وقدمه إلى عمر بن عبد العزيز الذي بعث إلى كل أرض دفترًا من دفاتره (٢٨).

وكان لهذه الجهود أثر كبير في حفظ السنة ومنع التلاعب فيها، كما مهدت الطريق للعلماء المصنفين في القرن الثاني للهجرة، حيث ازدهرت حركة التدوين ودأب العلماء على ذلك. لكن الفضل في أقدم أشكال تدوين الحديث يرجع بالطبع إلى مرحلة التأسيس في العصر الأموي.

الهوامش:

١ - خليفة: التاريخ ص ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٨٠ وابن الجوزي: الأحاديث الموضوعة ٣٩/١.

٢ - ربما يقصد بالفتنة حركة ابن الزبير عندما أعلن نفسه خليفة (انظر الموطأ كتاب الحج ٩٩). وهذا التفسير قد يتفق مع عمر ابن سيرين الذي كانت ولادته سنة ٣٣ هـ/٦٥٣م مما يجعله عند حدوث

- فتنة ابن الزبير - رضي الله عنه - في حدود ٧٢ هـ / ٦٩١ م بعمر يمكنه من الكلام بإدراك وإطلاع عما حدث في هذه الفترة.
- ٣- رواه مسلم في الجامع الصحيح، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها ، ٨٤/١ والجوزجاني : أحوال الرجال ، ص ٣٥-٣٦
- ٤- أخرجه مسلم في الجامع الصحيح ، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء ٨٠/١ .
- ٥- الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ٦،
- ٦- الدارمي : السنن ١٣٦،/١
- ٧- ابن عبد البر: جامع بيان العلم ٩٤،/١
- ٨- الدارمي : المصدر السابق ١٣٦،/ ١
- ٩- ابن سعد: المصدر السابق ٤٤٣/٥ ، ٥٠٣ ، ٥٢٣ ، ٥٤٩ .
- ١٠- سزكين : المرجع السابق ١٢٢،/١
- ١١- الخطيب : تقييد العلم ص ١٠١،
- ١٢ - أحمد : المسند ٤٥/٢ - ٩٠،
- ١٣- البخاري : التاريخ الكبير ٣٢٥،/١
- ١٤- الخطيب : المصدر السابق ص ٩٦،
- ١٥- الخطيب : المصدر السابق ص ٩٦،
- ١٦- أحمد: العلل ٥٠/١.
- ١٧ - الدارمي : المصدر السابق ١٢٨/١، والخطيب : المصدر السابق ١٠٥،
- ١٨- ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢٢٠،/١٠
- ١٩- ابن حجر: المصدر نفسه ٣٩،/٦
- ٢٠- ابن سعد: المصدر السابق ٣٩/٣.
- ٢١- ابن سعد: المصدر نفسه ٤٧٩،/٥
- ٢٢- أحمد: العلل ٥،/١
- ٢٣- ابن سعد: المصدر السابق ٣٦١، /٢
- ٢٤- وليها من سنة ٦٥ هـ إلى سنة ٨٥ هـ: انظر ابن كثير: البداية والنهاية ٥٧،/٩
- ٢٥- ابن سعد: المصدر السابق ٤٤٨،/٧
- ٢٦- الدارمي : المصدر السابق ١٢٦،/١
- ٢٧- ابن أبي حاتم : مقدمة المعرفة ص ٢١،
- ٢٨- ابن عبد البر: جامع بيان العلم ٧٦/١.

مقال

بطرس غالي.. تاريخ وحقائق

أحمد عبد العزيز أبو عامر

تمهيد:

ينتسب د. بطرس غالي إلى الكنيسة القبطية التي يترأسها اليوم شنودة الثالث، ولقد استطاعت هذه الكنيسة في الأربعينات جذب جماهير المثقفين الأقباط حولها واستطاعت أن تحقق نوعاً من

الإحياء لدورها. وفي نهاية الخمسينات وبداية الستينات استطاع النظام الناصري آنذاك ومن خلال مشروعه (القومي) جذب العديد من أبناء الكنيسة القبطية لينخرطوا في صفه ولما كانت تلك الفئات المثقفة تنتمي أصلاً في بداية تعليمها غالباً إلى مدارس (الأحد) الكنسية حصل في هذا الجيل اتجاهان :

الأول: من بقي مرتبطاً بالكنيسة أكثر من الدولة والحياة العامة (كشنودة الثالث).
الثاني: من ابتعد عن الكنيسة وارتبط بالدولة ومنهم الصفوة القبطية السياسية والتكنوقراطية مثل (د. ميلاد حنا).

وهناك اتجاه ثالث يحاول الربط بين الكنيسة والدولة في إطار فكري واحد مثل (وليم سليمان قلادة).

ودراسة المسيحية السياسية في مصر تعتمد على عدد محدود من الكتابات يُرى فيها آراء متفرقة أكثر مما نجد رؤية فكرية متكاملة وشاملة ومن هذه الدراسات القليلة كتابات الكاتب القبطي المعروف (د. رفيق حبيب في بعض كتبه ودراساته المنشورة) (١) وله جهود جيدة في كشف حقيقة الكنيسة ورموزها و(شنودة) غير راض عنه ولا عن والده. وأرجو أن أتناوله وفكره وموقف الكنيسة منه في دراسة قادمة بإذن الله.

والذي يجب أن لا يغيب عن البال هو أن للكنيسة القبطية تنظيمًا ونشاطاً كبيراً في الداخل والخارج، ولها جهود كبيرة في كافة الأصعدة، وتشجع الدراسات التي تبشر بدينهم، وتنقد الإسلام، بخاصة تظهر الغبن المزعوم لطائفهم. وباباهم الحالي يظهر عند المقابلة معه دبلوماسية وذكاء كبيراً وتبرؤاً من كل جهد لهم أو لمنتسبيهم بكل ما يعكر صفو الأمن أو يثير النزعات الطائفية. ولا يعرف له موقف إيجابي ضد الكتب التي تهاجم الإسلام زوراً وبهتاناً مثل: (رسالة المجلس الملي القبطي بالإسكندرية) والتي نقدها وكشف عوارها د. عبد الجليل عيسى، وكذلك (الجريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة) لإيسذوروس وكتاب: (بيان الحق لياسين منصور) والذي نقده وفصح مفترياته الأستاذ توفيق علي وهبة. في كتابه: (افتراءات المفترين) وكتاب: (تاريخ الكنيسة القبطية) لمنسي يوحنا، وهو كتاب يحوي تعصباً أعمى قال عنه مبشر، نصراني لبناني معروف هو (لويس شيخو اليسوعي) بعدما ذكر أخطاءه في كثير من الوقائع والحقائق: إن مؤلف الكتاب كان مدفوعاً في كتابه بعامل التعصب القومي.

ويعلم الجميع أن الصحة الدينية الشاملة في السنين الأخيرة أيضاً شملت النصارى، ولذا تم اجتماع مؤخراً في (استانبول) هو الأول من نوعه منذ قرابة الألف سنة بين كبار أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية في الشرق الأوسط وأفريقيا وأوروبا للتصالح بينهم وبين بقية الطوائف المسيحية الأخرى وعلى رأسها كنيسة روما الكاثوليكية، بعد انقطاع دام حوالي ٩٣٨ سنة، وقد عبر الجميع عن تصميمهم على إعطاء دور أكبر للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية والتي عانت حسب زعمهم الكثير من الاضطهاد على أيدي المسلمين مثلما عانت من نير الشيوعية..

هذه التداعيات المسيحية في النهضة الجديدة للكنيسة الأرثوذكسية ومشاركاتها في كثير من الأنشطة الاجتماعية وصدور كثير من الكتب والنشرات والصحف والمجلات في الداخل والخارج (٢). كل ذلك لا شك له أثره ودوره في تنمية الوعي لدى أفرادها وبالتالي إثارة الحمية الدينية في نفوسهم مما ينعكس بالتالي على شعور كل فرد منهم مهما كان توجهه علمانياً مثل د. بطرس بطرس غالي.

نبذة عن حياة بطرس غالي :

هو ابن لإحدى الأسر القبطية المشهورة والتي كان لها دورها في الحياة السياسية المصرية واشتهرت بعميدها (بطرس غالي باشا (١٨٤٧ - ١٩١٠) والذي تولى رئاسة الوزارة في مصر في

نوفمبر ١٩٠٨ وحتى ١٩١٠ وقد اغتاله أحد الشباب الوطنيين المصريين وهو (إبراهيم ناصف الورداني) والذي ثار لبلده من ميول المذكور للمستعمر الإنجليزي وعمله لمدّ امتياز القناة للإنجليز ، وقد فشل المشروع بعد اغتيال صاحبه. ووالد المقتول هو (غالي ناروز بك) كان من كبار أقباط بني سويف ومن كبار أثرياء مصر في عصره ، إذ كان أحد موظفي الدائرة الخاصة للخديوي إسماعيل ، مما أتاح لابنه (بطرس) أن يقضي جانباً من سنوات تعليمه في المدرسة التي أنشأها (مصطفى فاضل) شقيق الخديوي لتعليم أبنائه ومنهم بطرس الحالي حفيد بطرس غالي ناروز والذي ولد سنة ١٩٢٢م في أحد قصور حي (الفعالة) بالقاهرة.. وقد دخل كلية الحقوق وتخرج منها عام ١٩٤٦م وحصل على الدكتوراه من جامعة باريس عام ١٩٤٩م ثم عاد إلى القاهرة للعمل أستاذاً للقانون الدولي ثم رئيساً لقسم القانون الدولي بعد ذلك. ثم شارك في تأسيس كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة عام ١٩٦٢م وأصبح فيما بعد رئيساً لقسم العلوم السياسية بهذه الكلية منذ إنشائها. وفي عام ١٩٧٧م تولى وزارة الدولة للشؤون الخارجية. ومن أبرز أعماله في هذه الفترة مشاركته في الوفد الذي صاحب أنور السادات في عقد الصلح مع العدو الصهيوني ، إذ كان مسؤول الجانب السياسي في مباحثات (كامب ديفيد) للسلام من سبتمبر ١٩٧٨م إلى مارس ١٩٧٩م (ومعلوم أن زوجته يهودية) وبقي في هذا المنصب حتى أصبح نائباً لرئيس الوزراء المصري في أوائل ١٩٩١م ، ثم تم اختياره أخيراً أميناً عاماً لهيئة الأمم المتحدة. ولا يغيب عن البال ترأسه لتحرير مجلة (السياسة الدولية) بدءاً من يوليو ١٩٦٥ وحتى ١٩٩١م والتي تعتبر مرجعاً هاماً في العلوم السياسية دراسة وتحليلاً ومتابعة من منظور علماني.

وكتب الكثير من الدراسات السياسية والقانونية في مجال تخصصه ، ومن أشهر مؤلفاته : (الحكومة العالمية) والذي صدر للمرة الأولى عام ١٩٥٧م ، وأعيد طبعه مؤخراً هذه السنة ١٩٩٢م ، والكتاب يدور حول فكرة (الحكومة العالمية) أو إقامة تنظيم دولي لحفظ السلام والأمن في العالم. حيث قام بدراسة الموضوع من الناحية النظرية في كتابات عدد من المفكرين في المدرسة الأوروبية ، والمدرسة الأنجلوسكسونية ، والمدرسة الإسلامية ، وخلال هذه المتابعة التاريخية يرصد نمو الوعي بضرورة وجود تنظيم دولي وبضرورة وجود نظام لتسوية الصراعات والنزاعات بالطرق السلمية لأن الحرب كما نقل : (انتحار جماعي وضرب من ضروب الجنون). ثم ينتقل إلى دراسة لبعض التجارب السابقة في إقامة التنظيمات الدولية بدءاً بالمؤتمر الدولي عام ١٨١٤م وانتهاءً بهيئة الأمم المتحدة.

هذا التوجه الجميل في البحث عن حكومة عالمية تحكم العالم وتكفل السلام ، وتوفير الطمأنينة ماذا عمل (بطرس غالي) لتنفيذها حينما آلت إليه مقاليد هيئة الأمم ؟ مما يؤسف له أن ذلك الكلام تبخر وصار أثراً بعد عين وظهرت ميول عجيبة وغريبة لا يمكن بحال من الأحوال تفسيرها بغير (الميول الصليبية الكامنة في لا شعوره) في مواقفه اللامبالية من مأساة (دولة البوسنة والهرسك) وعدوان الصرب الهجمي عليهم والذي لم يعد يجهله أحد، وشكّل أعنف عدوان إجرامي في العصور الحديثة. لا سيما إذا عرفنا أن الرجل (أرثوذكسي) العقيدة ، وإخوانه الصرب على نفس المذهب ، والموقف البارد الذي يعالج به هذه القضية كما سنرى لا يمكن تفسيره بغير ما في ذكرته، فهو رجل سياسي عرف السياسة نظرياً وتطبيقاً. وله أفكاره حيال معالجة الصراعات والأوضاع العالمية السابقة لكنه حيال هذه المأساة عطلها وأعطى المعتدين الصرب الفرصة لاستئصال المسلمين هناك في وضح النهار.

فمنذ بدأت جمهورية البوسنة والهرسك بالانفصال وإعلان استقلالها كان له موقف سلبي حيالها لا سيما حينما بدأ الصرب الصليبيون مواقفهم العدوانية من تلك الدولة الجديدة التي يرونها جزءاً لا

يتجزأ من (صربيا الكبرى) وحصل من الفجائع والمآسي للمسلمين هناك ما نقلته وكالات الأنباء ، وأثار دهشة كل الناس للطرق العدوانية التي يتعاملون بها. ومواقف (الأمين العام الجديد) تمثلت فيما يلي.

١ - استبعد أول الأمر إرسال قوات دولية لحفظ السلام في البوسنة والهرسك حتى قبل أن يُقَدَّم اقتراح بهذا الشأن ، وبادر بإصدار تقرير متسرع مباشرة بعد فرض العقوبات الدولية على (دولة صربيا) لإراقتها الدماء البريئة في البوسنة والهرسك.

٢- رفض بطرس غالي اتفاق لندن بشأن وضع الأسلحة الثقيلة بين الأطراف المتناحرة تحت إشراف الأمم المتحدة مع العلم أن الأسلحة الثقيلة بيد الصرب ، والمسلمون ليس بأيديهم سوى أسلحة خفيفة مما أثار مشكلة مع (اللورد كارنجتون) وسيط هيئة الأمم المتحدة الذي أشرف على إبرام الاتفاق حينما زعم بطرس أن وقف إطلاق النار جرى التفاوض بشأنه بصورة متعجلة للغاية ، وأنه يقضي بنشر عدد من مراقبي هيئة الأمم المتحدة يزيد عما كان مخططاً له في الأصل ، وقد رفض (كارنجتون) الانتقادات البطرسية وقال : إن وقف إطلاق النار قد صدر عن الأطراف المتحاربة نفسها وأنه فقط قام بنقل الاقتراح فيما بين الأطراف ، وقال : سيكون من الأفضل ممارسة ضغط أكبر على المتحاربين، إلى أن قال : إنه لا يعتقد أنه بوسع المرء أن ينبذ بصورة كاملة وقف إطلاق النار الراهن.

٣- معارضته في إرسال المزيد من القوات الدولية إلى البوسنة والهرسك الأمر الذي آخر اتخاذ مجلس الأمن قراراً بشأن خطة المجموعة الأوروبية التي تقضي بنزع سلاح الأطراف المتحاربة. لكن بطرس اقترح أن تساهم منظمات إقليمية أوروبية في تمويل المهمة وتوفير المعدات والأفراد. بل ربما تتولى المهمة برمتها متعللاً بنقص موارد هيئة الأمم المتحدة ، وأهمية معالجة قضايا أفريقيا كالصومال بنفس الاهتمام ، ولا ندري كيف حصل هذا الاهتمام الجديد فجأة بقضية الصومال التي مزقتها الحروب الأهلية منذ ما يقارب السنة ولم ينتبه الأمين العام لها إلا يوم بدت الحاجة الماسة لإنقاذ مسلمي البوسنة والهرسك من الحرب الصليبية التي يشنها عليهم الصرب بكل غطرسة وعنجهية. فهل القصد الاهتمام بالصومال أم التساهل مع الصرب حتى يتم لهم ما يهدفون إليه من التطهير العرقي المزعوم. والذي يقومون به على مسمع العالم وبصره.

٤- وبعد تلك المواقف اللا إنسانية من هيئة الأمم المتحدة وأمينها العام شُنن عدد من الصحف الغربية والبريطانية منها بخاصة هجوماً على بطرس غالي وانتقدت تصرفاته غير المسؤولة ، وأسلوبه في التعامل مع قرارات مجلس الأمن. بل وتغيبه عن حضور جلسات مناقشة قضية البوسنة ، ونقلت صحيفة اللوموند (الفرنسية) أن أحد أعضاء مجلس الأمن علق قائلاً بأن (بطرس غالي) عارض منذ تعيينه في منصبه أي تدخل إضافي للأمم المتحدة في البوسنة والهرسك ، وقال آخر: إن مزاج بطرس غالي متوَعك تجاه هذه القضية التي تعتبر في غاية المأساوية ، وأنه في غاية الدهشة لهذا الموقف إزاء مأساة تدور أحداثها أمام أعيننا. وإزاء هذا الهجوم عليه لا سيما من الصحف البريطانية استطاع (غالي) أن يلزم بريطانيا بعد خلافه مع مندوبها (ديفيد هاناوي) إذ قال في معرض شرحه لأسباب الهجوم عليه ربما لأنه دُخِلَ مما أثار ضجة في الأوساط الإعلامية والسياسية الإنجليزية لأن المرادف لكلمة (دخيل) كما استخدمها (غالي) لفظ جارح ، وكان يستخدم سابقاً للإشارة إلى مواطني الدول الآسيوية المستعمرة من قبل الإنجليز مما يجدد ذكريات مؤلمة عن ذلك الاستعمار ، مما دعا وزير خارجية بريطانيا (هيرد) في مقابلة مع (بي. بي. سي) إلى الثناء على الأمين العام ، وقال المراقبون في لندن : إن تصريح (هيرد) هذا بمثابة اعتذار الغرض منه غلق هذا الملف.

إن ملف بطرس غالي وموقفه المشين من قضية العدوان الصربي على المسلمين في البوسنة والهرسك سيظل مفتوحاً يظهر منه مدى الإهمال واللامبالاة من وقف المعتدين عند حدهم. لو كان ما يحدث للمسلمين هناك حل بغيرهم من المسيحيين أو غيرهم كاليهود مثلاً ماذا سيكون موقف الأمم المتحدة وأمينها العام يا ترى؟ لا بد حينئذ أن تعلن الطوارئ وتقوم هيئات حقوق الإنسان بإعلاناتها المتشنجة حيال وأد حقوق أولئك المعتدى عليهم أما وأن الضحايا مسلمون فلا حياة لمن تنادي.

ولقد قال مفتي البوسنة والهرسك حيال المواقف المشينة للأمين العام للأمم المتحدة من قضية بلاده : إن موقف الأمين العام بطرس غالي من قضية شعبي غريب ومدهش. فأولاً: بلادي دولة مستقلة معترف بها دولياً، وثانياً: إن ما حدث من الصرب اعتداء واضح وصريح على الشرعية الدولية وتدخل في شؤون دولة أخرى، وثالثاً: إن ما يقوم به الصرب ليس اعتداءً على شعبي وبلادي فقط ولكنه اعتداء بشع على الإنسانية جمعاء، وأنهم طالبوا بقوات دولية لحفظ السلام ، والضغط دولياً من خلال المنظمة الدولية على صربيا ولكن للأسف فوجئوا بموقف الأمين العام السلبي ، وتسأل : كيف يكون للأمم المتحدة دور في الحماية ومنع التدخل كما حصل في بعض المواقع الملتهبة وتمتتع عن اتخاذ إجراءات ناجعة حينما وقع الاعتداء على شعبه؟! وما زال مجلس الأمن يناقش مدى إمكانية إرسال قوة عسكرية لحماية المعونات الإنسانية ولم يتفقوا بعد ، أما حماية البشر فهذا بعيد فيما يظهر.

ثانياً: ليس هذا هو الموقف السلبي الوحيد لبطرس غالي من قضايا المسلمين ، فموقفه من قضية المسلمين في قبرص لا يقل غرابة ، فالمسلمون هناك كانوا الأكثرية في الجزيرة ولكن ببركات بريطانيا والتي فتحت أبواب الجزيرة لليونانيين حتى صار المسلمون أقلية.. وتعرضوا لحرب إبادة من أولئك الطارئين وكان لزعيمهم الهالك (المطران مكاروريوس) دور في حرب الإبادة ضد مسلمي الجزيرة. ويتماسك المسلمون تحت قيادة الأستاذ (رؤوف دنكطاش) ولم يحمم بعد الله من استئصال عصابات النصاري إلا تدخل الجيش التركي عام ١٩٧٣م حينما كان نجم الدين أربكان نائباً لرئيس الوزراء التركي ، حينها استصدر أمراً باجتياح شمال قبرص لحماية المسلمين القبارصة وبهذا المنطلق الذي لا يعرف الأعداء سواه قامت دولتهم شمال قبرص والتي لم تحظ بعد باعتراف دولي سوى من تركيا نفسها ، نجد (بطرس غالي) يطالب الزعيم المسلم بالتخلي عن الجزء القائم باسم المسلمين - ويشكل (٤/١) الجزيرة - لصالح اليونانيين. وحاول أن يمارس ضغوطاً قوية في سبيل تنفيذ ذلك ، فدعا الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن إلى دعم المساعي الرامية إلى الخروج مما أسماه (الطريق المسدود) الذي وصلت إليه المفاوضات حالياً لحل المشكلة القبرصية. بينما الحكومة القبرصية الصليبية تحظى بتأييد دول العالم قاطبة ودعمها ، وهي أبعد ما تكون إنصافاً وعدلاً مع قطاع كبير من الشعب القبرصي المسلم. فبماذا نعلل هذا الموقف من (بطرس غالي) حيال مسلمي قبرص؟ ولماذا لا يكون الحل الجذري للجميع لينال المظلومون حقوقهم ، لكن العجب يزول إذا عرفنا أن نصاري اليونان وقبرص كلهم من الأرثوذكس وإذا عرف السبب بطل العجب. ثالثاً: الموقف المتناقض من القرار ٢٤٢ حول قضية الشعب الفلسطيني المسلم. ونحن بادئ ذي بدء نرفض عملية السلام مع العدو الصهيوني لما يترتب على السلام معهم من أخطار عقدية وسياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية لا يتسع المجال لذكرها ، ويمكن الرجوع إلى كتيب (لماذا نرفض السلام مع اليهود) للأستاذ محسن عنتاوي لكن ما يثير العجب أن القرار ٢٤٢ الذي قبلته الدول العربية بعد نكسة ١٩٦٧ كان لبطرس غالي رأيه المتشدد في إلزاميته لليهود في دراسة علمية له نشرها في مجلة (السياسة الدولية) العدد (٤٢) وهي دراسة تستحق أن تكون أساساً للرد على أي

دعوى ترى عدم إلزامية ذلك القرار ، لكننا فوجئنا بتغيير رأيه في مدى إلزامية القرار للعدو في مؤتمر للأمين العام في ٢٠ مارس الماضي والذي عكس فيه رأيه رأساً على عقب داعياً إلى أن القرار غير ملزم للعدو الصهيوني.

رابعاً: وحيال مأساة المسلمين في بورما والتي تمثل نموذجاً للمآسي التاريخية في عصر (النظام العالمي الجديد) لما عانوه من قتل وتشريد واضطهاد ، حيث هرب مئات الألوف من بورما إلى دولة فقيرة هي بنجلادش. ولم يتخذ حيال العصابة الشيوعية الحاكمة في (رانجون) أي موقف صارم يوقفها عند حدها لا لشيء إلا لأنهم مسلمون، إنها مأساة شعب يشكو إلى الله غفلة إخوانه المسلمين ومؤامرة الدول الكبرى وبخاصة صنّاع النظام العالمي الجديد.

المراجع:

- ١- المسيحية السياسية في مصر ، د. رفيق حبيب.
- ٢- ومن أهم صحفهم في مصر (الكراسة) دينية الطابع و (وطني) ذات طابع سياسي.
- ٣- الحكومة العالمية ، د. بطرس غالي.
- ٤- المجتمع العدد ٩٩٦ والعدد ١٠١٠.
- ٥- الشرق الأوسط ٤٩٨٥ ، ٤٩٩٩.
- ٦- الدعوة العدد ١٣٥١.
- ٧- السياسة الدولية العدد ١٠٨.

مقابلة مع : الشيخ أحمد قاضي والشيخ محمد حاج

بعد سقوط الاتحاد السوفييتي قام المسلمون في كافة الجمهوريات الوليدة بالسعي لاستعادة هويتهم، وانبرى الدعاة والعلماء لأخذ دورهم الهام في إعادة الناس إلى استئناف الحياة الإسلامية التي فصلوا عنها زماناً طويلاً، ومن جهود العلماء المسلمين في الاتحاد السوفييتي (سابقاً) تأسيس حزب النهضة الإسلامي ، الذي يعد أكبر تجمع للمسلمين. وولتقي في هذه المناسبة برئيس الحزب الدكتور أحمد قاضي، ونائبه للعلاقات الخارجية الشيخ محمد حاج ليحدثونا عن الحزب خصوصاً ، وأوضاع المسلمين هناك عموماً.

●حبذا لو تحدثونا عن إرهابات إنشاء الحزب؟

مرت بالمسلمين - كما لا يخفى عليكم - أيام سوداء قاتمة زمن الشيوعية اضطررنا خلالها للعمل السري للمحافظة على كياناتنا الإسلامية ، وكان في مناطق المسلمين أربع إدارات دينية للإشراف على شؤون المسلمين - زعموا - تحت توجيه وإشراف المخابرات ، وكان لكل إدارة مفتٍ منصف (شيوعي).

وعندما تحسنت الأوضاع - أيام البيروسترويك - تحرك المسلمون ضد هذه الدمى وأطاحوا بمفتي آسيا الوسطى شمس الدين بابا خان وكذلك مفتي داغستان محمود حقي.

ثم تحرك الجميع لإنشاء الأحزاب القومية والعلمانية ، وكذا أحزاب النصارى ، مما دعا المسلمين إلى التداعي لإنشاء حزب يضم المسلمين ويخدم قضاياهم. فهب العلماء والدعاة إلى الاجتماع في منتصف ١٩٩٠ وحضر ٢٢٠ مندوب من مناطق المسلمين كافة ، وقرروا إنشاء حزب النهضة الإسلامي

في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي (قبل تفككه) ، وتألف مجلس شورى من العلماء (١٧ عالماً) ولجنة تنسيق (٧ أعضاء من مختلف المناطق).

• ما هي أهداف وبرامج الحزب؟

الحزب إسلامي ، وأهدافه نبيلة وتشمل أساساً توحيد المسلمين من كافة مناطقهم ، وكذلك تربيتهم على الأصول الإسلامية من الكتاب والسنة، والدعوة إلى الالتزام بأوامر الدين واجتناب نواهيه. ومن ناحية أخرى العمل على رعاية حقوق المسلمين السياسية والاجتماعية في المناطق التي يكونون فيها أقلية.

• كيف تطورت أوضاع الحزب بعد انهيار الاتحاد السوفييتي؟

في البدء كان لنا فروع في (٩) جمهوريات أكبرها طاجيكستان وأزبكستان ، واستطعنا إنشاء صحف في مختلف الجمهوريات مثل : «الدعوة» و«النجاة» في أزبكستان و«بيان الحق» و«الوحدة» وغيرها في المناطق الأخرى.

وكذلك قمنا بتوزيع الكثير من النشرات الإسلامية. وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، أصبحت الأحزاب ذات الصبغة العامة غير معترف بها ، وبالتالي قمنا بتسجيل الحزب في مختلف الجمهوريات تحت الاسم نفسه وتجمعها رابطة النهضة الإسلامية ، حيث سجل فيها (٧٠) ألف عضو من كافة مناطق الاتحاد السوفييتي (سابقاً).

• هل للحزب أدوار سياسية؟

قبل سقوط الاتحاد السوفييتي شارك الحزب في الانتخابات، وفي طاجيكستان شارك الحزب مع المعارضة القومية في الضغط على الحكومة ورئيسها (الشيوعي) عن طريق الاضرابات والاعتصام حتى قدم الرئيس الكثير من التنازلات. وتعتقد قيادة الحزب أن الوقت الآن للترقية وتوجيه الناس وانتشالهم من الجهل الذي يعانونه ، أما الجانب السياسي فقادهم في المستقبل إن شاء الله.

• هل لكم أن تعطونا فكرة عن عدد أعضاء الحزب الآن ، وواقعه؟

لعلمكم فإن روسيا وعدد سكانها ما يقارب ١٥٠ مليون تحوي ما يقارب ٢٦ مليون مسلم يتركز بعضهم في مناطق تتميز بالحكم الذاتي - مثل داغستان التي ننتمي إليها - ويتوزع الآخرون في روسيا نفسها، وعدد أعضاء الحزب في داغستان فقط ثلاثة آلاف عضو، يجمعهم مجلس شورى من تسعة عشر عضواً ، وهم يمثلون مليوني نسمة من أهالي داغستان. ويعاني الحزب من آثار الشيوعية الباغية حيث كل المساجد والمدارس مدمرة ، ولك أن تتصور أن داغستان أيام القيصريّة كانت تحتوي ٢٧٠٠ مسجد و ٨٠٠ مدرسة فضلاً عن آلاف العلماء الذين قتلوا أو هربوا.

• هل هناك أحزاب إسلامية أخرى؟

نعم يوجد حزب ديمقراطي إسلامي !! وهو صوفي النزعة ويستخدمه القوميون مطية لهم ، وكذلك «جماعة المسلمين» وهم شافعية ملتزمون بالكتب المذهبية ويصفون من يخالفهم - ممن يستفيدون من جهود الآخرين وبالأخص المعاصرين - بأنهم وهابيون ، وقد كان لهم جهود طيبة سابقاً في محاربة الشيوعية.

• ما أخطر المشكلات التي تواجه الحزب الآن؟

في الحقيقة تعتبر اللغة مشكلة كبيرة ، وعائقاً أمام أعمال الدعوة ولك أن تتصور مليوني نسمة (في داغستان) يتكلمون (٣٣) لغة وبالتالي فاللغة الروسية هي السائدة ، أما العربية - التي كانت رسمية قبل أيام القياصرة - فإنها تستعيد دروها تدريجياً، والإقبال على تعلمها كبير رغم قلة المعلمين والكتب الدراسية.

من ناحية أخرى تمثل العلمانية خطراً داهماً على المسلمين ، وذلك بسبب جهل العامة بالإسلام رغم حبهم وعاطفتهم تجاه هذا الدين أما طبقة المثقفين (أغلبهم كانوا شيوعيين في السابق بسبب المصالح الدنيوية) فإنهم لا يعادون الدين ، وفي الوقت نفسه لا يعادون العلمانية لجهلهم بمقاصدها ومراميها وتبقي النخبة الباقية التي يغلب عليها التوجه العلماني ومضادة الدين ، والمدعومة من تركيا العلمانية بالخبراء والمستشارين. وهذا مع قلة علماء الشريعة والدعاة المصلحين.

• يعاني المسلمون - في عموم الجمهوريات الإسلامية - بعد سقوط الاتحاد السوفيتي مشاكل عديدة ، هل لكم أن تلخصوا لنا أبرزها؟

تعلمون أن المسلمين هم أكبر المتضررين في الوقت الحاضر فالمشاكل الاقتصادية تعصف بهم من غلاء معيشة ، وفقر ومرض ، وكذلك المشكلات الاجتماعية من خمر ومخدرات وملاه ومنكرات تملأ المجتمعات ، وفي جانب التعليم : الروسية هي اللغة التعليمية وهي إلزامية في المدارس ، وفي الجانب العسكري فإن الجمهوريات الإسلامية تعاني من قلة السلاح الذي ذهب كله إلى روسيا وأوكرانيا ، وما عدا كازخستان ، وهي مجبرة على التخلص من أسلحتها النووية ، أما في الجانب السياسي فالمسلمون بين فكي كماشة ؛ فمن جهة إيران تتربص وتنتحين الفرص لنشر مذهبها ؛ ومن جهة أخرى تركيا العلمانية التي تسعى لنشر مبادئ أتاتورك - بتوجيه أمريكي غربي - ، واليهود الذين استفادوا كثيراً من الوضع المتردي والسيطرة على الكثير من المؤسسات الاقتصادية. والدول الغربية تعمل بجد على نشر الإنجيل والتوراة في أوساط المسلمين - رغم علمهم بأن بضاعتهم كاسدة - فنجد الترجمات بكافة اللغات المحلية والنشر على أوسع نطاق ، فضلاً عن المحاضرات والندوات.

• الطوائف المرتدة عن الدين مثل البهائية والقاديانية تندس وتزدهر في أوساط الجهل ، فهل لهذه الطوائف وجود في بلادكم؟

بالطبع ، فالبهائية لها نشاط قوي ملموس وخصوصاً في موسكو وهم أكثر من ١٠٠٠ فرد ، أما القاديانية فلهم دور خير في روسيا وسيريا ولاتفيا وروسيا البيضاء ، وهم يذهبون لجهلة المسلمين حيث يبنون لهم المساجد ويأتون لهم بالأئمة من باكستان وانجلترا وبالتالي يجدون لمذهبهم رواجاً ، وهذا يحمل المسلمين المخلصين المسؤولية ، وبالأخص المقتدرين منهم ، وأعتقد أن نشر الكتب باللغات المحلية وكذا بالروسية (التي يتقنها أكثر المسلمين) سوف ينفع كثيراً في هذا المجال. ختاماً نشكر الأخوين على المعلومات المفيدة التي عرضها ، ونضع الأمر بين يدي المعنيين ليقوموا بدورهم في هذا المجال، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

محنة الشعب الصومالي

محمد عثمان عقال

بعد مرور عام ونصف على سقوط الطاغية سياد بري لا زالت الأحوال في الصومال تتردى من سيئ إلى أسوأ ، حيث يذوق هذا الشعب الجريح القتل الجماعي والمجاعة بأيدي الجهات القبلية التي مزقت أرض الصومال ، وقسمت الشعب المسلم إلى قبائل متناحرة متقاتلة ، كل هذا رغم مقومات الوحدة لهذا الشعب. فهو شعب مسلم بالكامل وجنس واحد ، كما أن أصول الناس ولغتهم وتاريخهم تعتبر شيئاً واحداً.

إن ما يحدث في الصومال ، وإن كان بأيدي هذه القبائل المتناحرة ؛ إلا أن المؤامرة ليست بعيدة عنه لإضعافه وتشريد شعبه.

لقد قسمت الصومال ومزقت من قبل على أيدي المستعمر الغربي ، ففي مؤتمر برلين قسمت الصومال بين بريطانيا، التي استولت على الجزء الشمالي المشرف على خليج عدن، وأسمته : المحمية الصومالية ، واحتلت إيطاليا الجزء الجنوبي ، وأخذت فرنسا ما سمته الصومال الفرنسي (جيبوتي الآن).

واقتطعت بريطانيا جزءاً آخر هو الذي ألحقته بكينيا لدى نيلها الاستقلال عام ١٩٦٣م والمسمى (NFD) ، وأخيراً احتلت الحبشة نصيبها المسمى بإقليم أوغادين عام ١٩٥٤م بعد انسحاب بريطانيا إثر اتفاقية سرية مع الحبشة. والصومال الحالي هو عبارة عن الجزء الإيطالي والمحمية الصومالية . ومخطط الاستعمار الغربي ينفذ اليوم على أيدي العلمانيين والمجرمين الذين يقودون الجبهات القبلية التي ذاق الشعب الصومالي على أيديها كل أنواع القتل والنهب والاعتصام. لقد استفادت هذه الجبهات من النظام الاجتماعي القبلي لهذا الشعب ، مع أن هذا النظام كان مبنياً على التعاون والإخاء ونصرة المظلوم والتكافل حتى وصل الأمر إلى المثل المعروف وهو أن القبيلة الطيبة لا يوجد فيها أحد جائع.

لا شك أن سياد بري خلال إحدى وعشرين سنة من الظلم والاستبداد والتعذيب والتخريب كان بمثابة رأس الفتنة ، ثم أجهزت الجهات القبلية على الباقي حتى أصبح الشعب الصومالي شعباً مشرداً لاجئاً في جميع أنحاء العالم.

الجبهات وتوجهها:

- ١- جبهة الإنقاذ SSDF أسسها في كينيا العقيد عبد الله يوسف عام ١٩٧٨م وهي أول جبهة مسلحة حاربت نظام سياد بري إثر قمعه القبائل في الشمال الشرقي والمنطقة الوسطى ، وهي تسيطر الآن على شمال شرق الصومال والمنطقة الوسطى ، ويرأس هذه الجبهة الآن محمد أبشر موسى.
- ٢- جبهة التحرير الوطني SNM ، أسست عام ١٩٨٢ في بريطانيا ، وقاومت نظام سياد بري في الأجزاء الشمالية من البلاد. وبعد سقوط بري أعلنت هذه الجبهة انفصال الجزء الشمالي عن بقية البلاد كحكومة مستقلة سميتها «أرض الصومال». ويرأسها الآن عبد الرحمن محمد علي.
- ٣- جبهة منظمة المؤتمر الصومالي UCS ، والتي سيطرت على العاصمة والمناطق المجاورة بعد سقوط النظام الفاسد ولكن ما لبثت قليلاً حتى انقسمت إلى قسمين متناحرين اندلعت حرب دامية بينهما في العاصمة قتل على أثرها الآلاف. والجنرال محمد فارح عيديد يرأس قسماً والقسم الآخر يرأسه علي مهدي محمد الرئيس المؤقت للبلاد والذي يمثل الجماعة الموالية للغرب والمدعومة من قبل أمريكا.

وقف الفتنة:

لقد قام نفر من الدعاة بنشر الدعوة الإسلامية في أرجاء البلاد ، حتى وصل أمر الناس إلى مرحلة محمودة هن الالتزام بالطيب بالإسلام ، وكان الاتحاد الإسلامي - وهو أكبر تجمع إسلامي في البلاد - طليعة الشعب الصومالي في محاولة وقف الفتنة منذ عهد سياد بري. حيث تصدى لمحاولاته التفريقية لهذا الشعب إلى قبائل متناحرة متبعاً بذلك قاعدة: فرق تسد.

وبعد سقوط نظام سياد بري بذل الاتحاد جهوداً جبارة للتوسط بين الجبهات المتقاتلة، كما بذلوا جهوداً لحماية المصالح العامة مثل: الموانئ والمستشفيات ومواد الإغاثة، وتوزيعها على الفقراء والمساكين وضحايا الحرب، وأكبر مثال في هذا هو «بوصاصو» في شمال شرق الصومال و«مركا» في جنوب البلاد.

إن على المسلمين الصوماليين نبذ العصبية القبلية، والتوبة إلى الله ، وإنقاذ هذا الشعب من الدمار والهلاك الذي لحقه بسبب سياد بري وبسبب الجهات العلمانية القبلية، وعلى الإخوة أتباع الحركات الإسلامية في الصومال توحيد صفوفهم ونبذ الحزبية والفرقة لمواجهة التنصير الغربي في معسكرات اللاجئين سواء في كينيا والحبشة، أو في داخل البلاد. وإن على المحسنين المسلمين الميسورين أن يدعموا الدعاة المسلمين في الصومال حتى يتمكنوا من أداء واجبهم تجاه تحرير الصومال وتضميد جراح هذا الشعب المسلم.

بيان هام من الاتحاد الإسلامي في أوجادين

من المعلوم أن منطقة «أوجادين» المحتلة من قبل أثيوبيا هي المحور الأساسي المتمثل في الصراع بين المسجد والكنيسة منذ الحروب الصليبية في القرن الخامس عشر الميلادي. وقد قامت عدة حروب لتخليص المنطقة من الاستعمار الحبشي وكانت الحرب سجالاً ، إلى أن جاء الإمام أحمد بن إبراهيم الغازي فلحق الاستعمار الحبشي درساً لم ينسه بعد ، مما استدعى تدخل الدول الغربية وفي طليعتها «البرتغال» لحماية المسيحية في أفريقيا ، وما زالوا يدفعون في سبيل الحفاظ عليها وإخضاع الشعوب الإسلامية للأقلية المسيحية الغالي والنفيس. وبعد انهيار حكومة «منغيسستو» الشيوعية تسلمت مقاليد الحكم الجبهة الشعبية «النجراوية» بتدبير من الصليبية والصهيونية العالمية ونتيجة لضعفها وعدم قدرتها للسيطرة على جميع القوميات نادى بالديمقراطية ووعدت بمنح تقرير المصير للقوميات المختلفة بعد سنتين ، إلا أن هذا الوعد لم يكن إلا مطية لتقوية وتعزيز قدرتهم العسكرية والاقتصادية ، ومن ثم القضاء على أي قوة مناهضة. ويعتبر الاتحاد الإسلامي في أوجادين حزباً معترفاً به ، وله نشاطه الدعوي على منهج السلف الصالح، وقد قام بفتح مكاتب سياسية في جميع المدن والقرى ، كما أنه أسس معسكرات لتدريب الشباب عملاً بقوله تعالى : ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)) [الأنفال: ٦٠] وعندئذ تفجر الحقد الصليبي فقامت الحكومة الأثيوبية (تجراي) بتحريض من القوى الصليبية العالمية بهجوم واسع النطاق بقوات قوامها ألفا مقاتل تقريباً على معسكر طارق بن زياد التابع للاتحاد الإسلامي في أوجادين وذلك بتاريخ ١١/٨/١٩٩٢م واستمرت المعركة ثمانية ساعات متتالية ، وسفرت بحول الله وقوته عن هزيمة القوات المسيحية هزيمة نكراء ، حيث قتل منهم ما يزيد على مائة جندي ، ومن بينهم قائد الجيش ، وجرح منهم حوالي سبعين رجلاً ، بينما تاه في الغابات كثير من قواتهم ولا يعرف لهم مصير. ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)) [آل عمران: ١٦٩] ، كما جرح من المجاهدين تسعة منهم نسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم ويسكنهم الفردوس الأعلى.

ومنذ تلك المعركة التي نقضت فيها حكومة الحبشة جميع العهود والمواثيق تهدمت دعوى الديمقراطية المزعومة التي كانت تتستر بها ، وانكشف الغطاء عن الحقد الصليبي والذي لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة.

هل يخون الغرب نفسه ؟* مقابلة مع علي عزت بيكوفيتش

ترجمة : أحمد العبدية

● هل تعتقد أن شيئاً قد تحقق في مؤتمر لندن الأخير؟

أقل مما توقعنا وما تمنياه. ولكن تحقق بعض التقدم.

● هل لديك شك في عزم الغرب على تنفيذ الاتفاقية التي أقرت هنا؟

نعم ، لقد فوجئنا بنقص رغبة الغرب السياسية في الحل وأحزننا ذلك.

● هل تشعر أنك قد خذلت من قبل الغرب؟

إلى حد ما ، نعم. إنه ليس خذلاًناً لأمانينا بقدر ما هو خذلان للغرب نفسه. لقد خذل الغرب مبادئه. إن من حسن حظ الغرب أنه لم يتردد في بداية الحرب العالمية الثانية كتردده الآن. لو أنهم ترددوا حينئذ لما دخلوا الحرب. ولكننا لا زلنا نعيش تحت الحكم النازي إلى يومنا هذا.

● إن الصرب يسيطرون على ٧٠% من أراضي البوسنة ، ألا تعتقد أنك ستكون

مفاوضاً من موقف ضعيف جداً في المحادثات القادمة في جنيف؟

أولاً: إنهم لا يسيطرون على ٧٠% ، إنهم يسيطرون على حوالي ٥٠%. ثانياً: صحيح أننا في موقف صعب ؛ لكنهم هم أيضاً في موقف صعب ، لقد تعبوا من الحرب ، خسروا الحرب السياسية في الداخل والخارج ، وخسروا من الناحية المعنوية لأنهم ارتكبوا كثيراً من الجرائم. جرائم بشعة. من الناحية العسكرية نحن مشلولون من ناحية التسليح ، لكنهم مشلولون نفسياً.

● إذا انتهت الحرب ، وعادت البوسنة إلى حدودها قبل الحرب ، كيف يمكن التعايش

بين الصرب والكروات والمسلمين في أرض يقتل فيها الجار جاره؟

كان الهدف الأساسي لكاراديتش قائد الصرب في البوسنة تحطيم الحياة المشتركة في البوسنة. لقد عشنا جميعاً مئات السنين في البوسنة والهرسك. أكثر من ٨٠% من أراضيها تقطنها جماعات مختلطة ، مسلمون ، صرب ، كروات ، وغيرهم. لقد اعتقدنا دائماً أن هذا ميزة مهمة لنا. وسنبقى حاملين هذه الفكرة ما دمنا ننظر للموضوع من منظور القرن الحادي والعشرين ، ولكن الأمر غير ذلك بالنسبة لهؤلاء الذين يعيشون بعقلية القرون الهمجية. لهذا قاموا بهذه العملية التي سموها التطهير العرقي ، فبذروا الكراهية ، وقتلوا الناس ، محاولين التفريق والشرذمة وإقناع الجميع بأن الحياة المشتركة أصبحت مستحيلة.

● هل نجحوا في ذلك؟

للأسف، لقد نجحوا جزئياً، حيث يتساءل الطيبون بينهم وبين أنفسهم ما إذا كان التعايش لا زال ممكناً. لكن هناك فرق بين قاطني الأرياف وسكان المدن ، ففي مدننا ما زال الاعتقاد شائعاً أن التعايش ممكن ، ولا غرابة في ذلك حيث الناس متعلمون أكثر ، وهذا يمثل الأمل للتعايش المستقبلي.

● ما هي مصادر أسلحتكم؟

نحن نشترها من أي عارض لنا ، هذا ما أستطيع أن أقوله.

● هناك تقارير عن مساعدات من دول إسلامية ، تشتمل على المال والسلاح بل حتى مقاتلين ، هل هذا صحيح؟

هذه إشاعات، لكننا نقبل المساعدات من أي جهة، فلماذا إذن لا نقبلها من الدول الإسلامية؟! لكن لم يصلنا من الدول الإسلامية إلا مساعدات إنسانية.

● هل المجموعة الأوروبية صديق للبوسنة؟

أعتقد أن أوروبا فوجئت لما يحصل في البوسنة والهرسك. بتسلط صربيا ، ولكن أريد أنؤكد على إن الإجماع الذي نتعرض له هو نتاج أوربي إلى حد ما. إنه خليط مؤسف من الفاشية والاشتراكية اللتين ولدتا في أوروبا.

● ما نوع صداقة الولايات المتحدة لكم؟

المشكلة أن منطقنا ليست ذات أولوية للولايات المتحدة ، أولوياتهم هي : الشرق الأوسط، الشرق الأقصى، أميركا اللاتينية، وليس بلدنا. وهذا هو سبب المأساة الحالية التي كان يمكن أن لا تحدث لو تدخلت الولايات المتحدة في وقت مبكر.

● هل تعتقد أن حرب عصابات موسعة من قبل البوسنة ستعيدها إلى حدودها الأصلية؟

لماذا تسميها حرب عصابات. نحن نحاول تشكيل جيش نظامي، فحوالي نصف السكان موالون لنا ، لأن أراضينا أكثر نظاماً وأمناً من مناطقهم. والمناطق التي على ضفاف نهر البوسنة هي من أكثر المناطق تطوراً من الناحية الصناعية. ولدينا الفرصة لتشكيل جيش نظامي.

● هل الوقت متأخر لمنع انتشار هذه الحرب؟

لا ، الوقت ليس متأخراً ، لا أظن أن هذه الحرب ستتسع ، خصوصاً إذا طبقت القرارات التي اتفق عليها أمس (أي في مؤتمر لندن).

● هل بالإمكان تطبيق القرارات بدون التهديد بالقوة العسكرية؟

عندي شك عميق في ذلك ، ولكن في رأيي إن المجتمع الدولي لم يقل كلمته الأخيرة في هذه المشكلة. ولم يستبعد الخيار العسكري قطعياً. أعتقد أن المجتمع الدولي من خلال قراراته بالأمس قد قام بخطوة أخيرة لمنع انهيار الوضع ، ولم يستبعد - في حالة عدم التطبيق - حتى الخيار العسكري.

الهوامش:

* عن نيوزويك ، عدد أيلول ٧ (سبتمبر) ١٩٩٢ .

في دائرة الضوء

وشهد شاهد من أهلها

سعد بن محمد آل عبد اللطيف

كثيراً ما يتهم الشباب الصالح الملتزم بدينه في البلاد العربية والإسلامية بأنهم شباب يغلب عليهم "الدروشة" ويمتازون بالسلبية، أو أنهم أناس يستترون بالدين ويسعون إلى تحقيق مآربهم ومطامعهم الشخصية ، أو أنهم اعتزلوا المجتمع وفسقوه وكفروه وناذبوه العداء.. إلى آخر القائمة التي لا تنتهي.

ولعل خير ما يبطل هذه التهم ويوضح مدى تفاقتها ما نشر في مجلة صباح الخير [١٥/١/١٤١٣هـ] - والمعروفة بعدائها السافر للإسلام وأهله - من تنامي نشاط الجماعات

الإسلامية وكيف أنهم كسبوا قلوب الأهالي في قرى الصعيد بمصر، وكان عنوان المقال أو التقرير «كيف توغل الإرهاب في قرى ومدن الصعيد» .

حيث يذكر التقرير بعض أوجه النشاط الخيري والتي استطاعوا من خلالها كسب ود الأهالي والوصول إلى قلوبهم ونشر الوعي بينهم ، وذكرت المجلة التالي :

- ١- مجال وسائل المواصلات: ونذكر أهمية هذا المجال إذا عرفنا شدة حاجة الناس إليها - أي وسائل المواصلات - لأداء أعمالهم وتحصيل مصالحهم في المقابل لا تتوفر بسهولة هذه المواصلات ، فما كان من الإسلاميين هناك إلا أن قاموا بتنظيم دورات توصيل الركاب مقابل أجور ثابتة لا تقبل الزيادة ومع فصل الرجال عن النساء ومنع الاختلاط .
- ٢- مجال الصحة : أقام الدعاة هناك المستوصفات الأهلية بجوار المساجد ويشرف عليها ويعمل فيها بعض الأطباء الصالحين ويقومون بالكشف وتقديم الدواء بسعر رمزي وربما مجاناً .
- أما مجال الطب البيطري فتزيد أهميته إذا أدركنا أهمية المواشي في مثل هذه المجتمعات الريفية ، حيث يقوم أحد الأطباء البيطريين بتفقد حالات الماشية المريضة والإشراف على علاجها بأسعار زهيدة.

- ٣- مجال التموين : قام الإسلاميون بمساعدة العوائل الفقيرة عن طريق إقامة مشروعات اقتصادية صغيرة وإشراك تلك العوائل في المساهمة فيها مما يساهم في زيادة الدخل عند تلك العوائل ويخفف عنها عبء المعيشة ، ومن تلك المشروعات : مناحل العسل ، مزارع الدواجن ، مشروعات التسمين ، إنتاج الألبان وصناعة المربي والمخللات وأعمال الخياطة والتطريز ، بالإضافة إلى الإشراف على المخابز وتنظيم عملية بيع الخبز .

- ٤- في مجال العمل الاجتماعي : كان للإسلاميين دور فعال في إصلاح ذات البين وفض الخصومات والمنازعات، ومن أهمها قضية الثأر بل حتى الخلافات الزوجية بالإضافة إلى زيارة المرضى وجمع الزكاة.. الخ.
- بالإضافة أيضاً إلى منع ومحاربة المنكرات والبدع ، مثل منكرات الأفراح من الغناء وغيره ، مثل بدع العزاء من إقامة السراذقات وتلاوة القرآن.. الخ.
- ٥- في مجال التعليم : يقوم الإسلاميون بإقامة حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد، وتقديم الدروس الخصوصية لطلبة المدارس وفي المساجد أيضاً ، مع بعض التوجيه والإرشاد وأداء الصلوات ، بالإضافة إلى الأنشطة الرياضية المختلفة.
- ونقول أخيراً: وشهد شاهد من أهلها.. ولكن التقرير يقول في آخره محرضاً ومشوهاً دوافع هذه الأعمال : «وهكذا تجيد الجماعات وأمرؤها فنون تسويق الإرهاب بحنكة واقتدار في مجتمع الغليان والنسيان هنا» .

وتعليقاً على ذلك أن الحق لا بد أن يظهر ، وأن التشويه والتحريض قد يخدم هؤلاء إلى أمد، وأن المسلم عليه أن يحصر جهوده بالعمل والإنتاج والبعد عن القيل والقال ومهاترة السفهاء ، وبذلك تكون له العاقبة إن شاء الله.

شذرات.. وقطوف..

أصناف الناس

«الناس ثلاثة: خير، وشرير، ومهين. فالخير هو الذي إذا أقصيته قبض نفسه عنك ولسانه من سوء الذكر لك وذكر حسناً إن كان تقدم منك ، والشرير يقبض نفسه عنك ويطلق لسانه في ذكر معائبك . ،

وربما تعدى إلى الكذب عليك ، والمهين لا يقبض نفسه عنك ، ولا يزال متضرعاً لعفوك، ومودة هذا مقرونة باستقامة حالك وصلاح أمورك فإن انتقلا انتقل بمودته».

أسامة بن منقذ

لباب الآداب

الفرج بعد الشدة

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد تقطع قلبي إثرهم حشرات
فيا نفس طيبي، ثم يا نفس أبشري فغير بعيد كل ما هو آت
ولا تجزعي من دولة الجور إنني كأني بها قد آذنت بشتات
عسى الله أن يرتاح للخلق إنه إلى كل حي دائم اللحظات

القول والفعل

« ولن يبلغ ألف رجل من إصلاح رجل واحد بحسن القول دون حسن العمل؛ ما يبلغ رجل واحد في إصلاح ألف رجل في تصديق القول بالفعل ».

أبو الحسن العامري

المدينة والريف

«.. لكن اليوم تمتص المدينة العملاقة الريف حتى الجفاف ، تلتهم كل يوم كتلاً جديدة من البشر حتى يعتريها الوهن وتموت في وسط فقر بوار من الريف ، وخال من السكان ».

شبنجلر

سقوط الحضارة الغربية

منتدى القراء

لماذا لا نبكي من خشية الله ؟

كثير منا من يقرأ القرآن ويداوم على الصلاة ويحافظ على السنن، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقد يصوم بعضنا الأيام المستحب صيامها ، وكل هذه أعمال عظيمة والله الحمد.

رغم هذا فإنه يتبادر إلى ذهني سؤال يحيرني ويزعجني وهو: لماذا لا أبكي من خشية الله؟ كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يكون عند أدنى شيء يذكرهم بالله جل وعلا. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه- عندما قرأ في صلاة الفجر قوله تعالى : ((فَإِذَا نُورَ فِي النَّاقُورِ)) شهق شهقة قوية ، فسقط فجلس يعاد في بيته وهو على فراشه أسبوعاً كاملاً.

وهذه قصة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه- عندما جاء بيته وجلس على فراشه وهو يبكي ، فجاءت زوجته فاطمة فبكت لبكائه ، وبكى الخدم لبكائهما ، وعندما سكنت قالت له : بأبي وأمي ما يبكيك ، قال : تذكرت موقفى يوم العرض. وغيرها كثيرة معلومة. وقد يكون السبب في ذلك والله أعلم :

١- عدم حضور القلب حضوراً تاماً في الصلاة ، والتلذذ فيها هي أو غيرها من العبادات ، والغفلة عن تلاوة القرآن وتدبره. يقول ابن القيم رحمه الله- : إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه ، وألق سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه

خطاب منه لك على لسان رسوله. قال تعالى : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)) [ق:٣٧].

٢- ما يعترى القلب من أمراض معنوية كالحسد وجب الرئاسة وإظهار النفس وحب المال والكبر وغيرها.

٣- الاهتمام بجانب واحد وإهمال الجانب أو الجوانب الأخرى ، كمن يهتم بتلاوة القرآن ولا يترك فضول الكلام ، فهنا لن تحصل تمام الخشية والإنابة على الوجه المطلوب.

٤- العكوف والإصرار على المعصية مما يجعل القلب يقسو وينكت فيه نكتة سوداء. والركون إلى شيء من حطام الدنيا الزائل.

محمد بن حمد أبو عزام

عندما رد مقالي !!

لم نتعود بعد على فن المقالة والمشاركة بالكتابات في المجلات والصحف ، وبالتالي لم نتعود أن ترد مقالاتنا التي نرسلها.

كم يفخر الإنسان بأن ينشر مقاله في مجلة راقية قوية المنهج ، صادقة اللهجة كمجلة البيان التي أرسلت إليها مقالاً ولكنه رُدّ ، حقاً كم هو قاس على نفسي أن يرد مقالي ، بعد أن أودعته بنظري القاصر من كنوز المعاني، وعندما أفقت من صدمتي ورجع إلي عقلي سألت نفسي : هل هم مخطئون أم أنه العجب بنفسي ، هل التزمت بشروطهم للنشر أو الجدة من حيث المنهج أو اللغة ، أو الجدة في الموضوع أو التوثيق العلمي وأجبت : لا. قلت: إذن فلماذا الغضب حيث ترد مقالاتنا ولا تنشر. ألم أقل إننا لم نتعود على فن الكتابة الصحفية ..

هدى السيف

بريد القراء

•الأخ سالم عقيل باصلاح

أرسل لنا كلمة قصيرة حول طموح الشاب المسلم لخدمة دينه وطموح الشاب الذي أكبر همه امتلاك سيارة وهما صنفان لا يستويان.

البيان : شكراً للأخ سالم وننصح بكثرة القراءة.

•الأخ عبد الله عياد

أرسل كلمة قصيرة حول تميز الشخصية الإسلامية ، والرجوع إلى هويتنا وثقافتنا.

البيان : شكراً للأخ عبد الله ونتمنى لك التوفيق.

•الأخ محمد الشبيثي

أرسل مثنيّاً على البيان ومقترحاً إيجاد زاوية لحل مشاكل الشباب ، ويرى مضاعفة التوزيع في كل مكان حتى يتعرف عليها القراء.

•الأخ مقبل

أرسل قصة قصيرة بعنوان (عتاب).

البيان : نشكر الأخ مقبل وننصحه بكثرة القراءة وإعادة المحاولة.

•الأخ أحمد سعود الطيار

أرسل مثنياً على البيان ومستفسراً عن تعلم الإنكليزية عن طريق المنتدى.
البيان : لا يوجد الآن في المنتدى دورات لتعلم الإنكليزية ولكن يمكن للمنتدى أن يساعد الأخ القادم في التعرف على المعاهد أو الدورات التأهيلية.

•الأخ عبد الإله الزعير

نشكر لك محاولتك «استشعار لذة العبادة» والموضوع يحتاج - كما بينت - لكاتب مقتدر حتى يشمل الموضوع ويعتني به ، ونرحب بك في محاولات أخرى.

•الأخ نجم الدين عبد الله المعروف

نشكر لك على مقالك «المساواة بين الرجل والمرأة كما يراها الإسلام» والفكرة جيدة لكن الموضوع يحتاج استقصاء أكثر مما عرض وحذا الاستفادة من الكتب الكثيرة في هذا المجال وأهمها «عودة الحجاب القسم الثاني» للشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل.

•الأخ فائز سعيد الزهراني

أرسل لنا كلمة قصيرة يحث فيها المسلمين على العمل والصبر واستنفاد كل الطاقات التي يملكونها حتى تعود إليهم العزة والكرامة.

•الأخ يوسف بن عياد الحنيني

أرسل لنا كلمة قصيرة عن العالم المجاهد عبد الله بن مبارك.
البيان: جزاك الله خيراً يا أخ يوسف وقد نشرت البيان في أعدادها السابقة ترجمة لهذا الإمام العالم.

قديم جديد

الحرب الصليبية في البلقان*

قد عرف كل قارئ وكاتب وواع وسامع حقيقة ما تسميه أوربا (المسألة الشرقية) وهو إزالة دولة الإسلام من الشرق - وبعبارة أخرى من الأرض - وجعلها قسمة بين الدول الغربية- وبعبارة أخرى المسيحية - وأول ما يهمهم من بلاد المسلمين ما كان منها في أوربا فإن من طباع الأوربيين وغرائزهم الموروثة شدة العصبية على من لم يكن منهم وعدم احتمال وجوده بينهم. بل كانوا لا يحتمل بعضهم من بعض مخالفة في دين ولا مذهب ، ولذلك أبادوا الوثنيين من أوربا لما صار أكثرهم نصارى ، وأبادوا المسلمين في غربي (الأندلس) ولا يزالون يعملون لإبادتهم من شرقيها (تركية أوربة).

... كانت الدولة العثمانية أقوى من جميع الدول الأوربية بأساً ، ولكنها لم تكن قط أقوى عقلاً ورأياً، فكانوا يستفيدون من قوتها بحسب دهائهم ، حتى صاروا بارتقاء العلوم والفنون وما يترتب عليها من الصناعات أقوى منها. حينئذ طفقوا ينتقصون بلادها من أطرافها ، فأزالوا سلطانها عن بلاد اليونان والرومان والبلغار ، وأسسوا من البلاد التي كانت لها عدة إمارات وممالك بجوارها تأسيساً تدريجياً ، وأخذوا على عاتقهم حمايتها منها ، فإذا أغارت إحدى هذه الإمارات أو الممالك على شيء من بلاد الدولة حتى عندما كانت تحت سيادتها ساعدتها أوربا على امتلاك ما أغارت عليه ، وإذا وقعت حرب انتصرت فيها العثمانية وأخذت شيئاً من بلاد إحدى هذه الممالك

ردته أوربا إليها ولم تسمح للعثمانية بأن تستفيد من انتصارها شيئاً. والأصل في ذلك القاعدة المتفق (كذا ، والصحيح المتفق) عليها بين دول أوربا كافة ، ونقل عن اللورد سالسبوري التصريح بها وهي «ما أخذه الصليب من الهلال لا يعود إلى الهلال ، وما أخذه الهلال من الصليب يجب أن يعود إلى الصليب».

... وقد صرح بعض ملوك التحالف البلقاني ووزرائه بأن هذه الحرب صليبية محضة المراد منها إنقاذ المسيحيين من سلطة «الترك الكافرين» وصرحت الدول العظمى في أول الأمر عندما كن يعتقدن أن الدولة العثمانية أقوى من البلقانيين ويرجى أن تنتصر عليهم بأنهن لا يسمحن للغالب في هذه الحرب بأن يأخذ شيئاً من ملك المغلوب ، بل يجب أن تبقى البلاد كلها على حالتها الحاضرة التي توافقت الدول كلها على حفظها. فلما ظهرت بوادر الغلبة للبلقانيين على الترك بدا لهم ، ولم تخجل دولة ولا جريدة لدولة من التصريح بأنه لا يمكن حرمان دول البلقان من ثمرة انتصارها. هذا قول إجمالي وجيز في تصرف أوربا في الدولة العثمانية إلى هذا اليوم ، وهو تصرف العاقل الحكيم في القاصر الجاهل. وإنني أعتقد أن أوربا لم تكن في الماضي ولا في الحاضر شراً علينا من أنفسنا، ولو وجد في الدولة عقلاء مصلحون لتيسر لهم النهوض بها بمساعدة أوربا نفسها ، ومن لا يصلح نفسه لا يصلحه غيره. والدولة تعرف في الجملة ما هي أوربا وهي الآن منها كالمريض بين يدي ممرضه الذي يعالجه عند شدة الألم بالمورفين الذي يسكن آلامه في الحال ، ليسلبه الحياة في المستقبل ، ولكنه لا يرى نفسه في غنى عنه ، فهي تلقي نفسها بين يدي أوربا ، وتقول لها: تصرفني كيف شئت ولكن تكرمي بالرفق واللين.

البيان: هذه هي سياسة أوربا الآن لم تتغير ولن تتغير أبداً، فكل ما يأخذه الصرب من المسلمين في البوسنة فهو حلال، ولو انتصر المسلمون لأوقفوا القتال بحجة عدم اعتداء دولة على دولة.

الهوامش:

* المنار مجلد ١٥ / جزء ١١ ص ٨١٧-٨١٨.

الصفحة الأخيرة

مفكرو الشوروقراطية!

جمال سلطان

نبئت في زماننا هذا، نابتة من هذه الأمة، لا تتكلم في شيء من أمر دينها أو دنياها إلا بالقياس إلى الآخرين ، والآخرون هم الغرب تحديداً ، وبالتالي ؛ فإن أية نظرة إليهم في فقه الإسلام ، أو مقتضيات شريعة ؛ لا يمكن أن تفهم فهماً أصيلاً ذاتياً منبثقاً من هدي كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم-، ومسترشداً بالتجربة الفكرية والعملية التي مرت بها الأمة في قرونها السابقة ، ولا سيما قرون الرشاد والاستقامة والقوة.

فإذا أراد أحدهم أن يفهم «حقوق الإنسان» في دين الله ، تراه يكتب حاشية أو تذيلاً على «المتن الأوربي» لمقررات حقوق الإنسان، ثم يوشي هذا المتن بأية أو حديث، لكي يضمن إضفاء وصف «إسلامي» على مؤلفه ، ولا بأس - لكي يرفع من شأن الإسلام أمام الحضارة المعاصرة! - أن يلوي أعناق النصوص ، ويتلاعب ببعضها ، ويرفض ما شاء من سنة النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم- لكي يضمن موافقة الإسلام و«توقيعه» على الوثائق الأوربية في هذا الشأن.

ومن طرائف هذا الفريق ، ما ذهب إليه بعض «المغاربة» عندما أراد أن يضع توقيع «الإسلام» على الديمقراطية الغربية ، فرأى أن "الشورى" كمفهوم إسلامي هو المكافئ «للمتدنية» الغربية ، مع بعض «التهذيبات» التي نضعها هنا أو هناك لكي نزاوج بين الطرفين ، وقد وُلد هؤلاء نفر مصطلحاً جديداً ليعبر عن هذه «المزاوجة» بين الإسلام والغرب ، وسموه «الشوروقراطية». هذا المصطلح في - تقديري - يصلح أن يكون علماً على منحى «السقوط» و«التبعية» الفكرية لدى قطاع من المنتسبين إلى «الفكر المستنير»، فعلى الرغم من كثرة ضجيجهم حول الأصالة ، والتجديد ، والاجتهاد ، والإبداع ، إلا أن منطلقاتهم الفكرية ، ووعيهم المنهجي ، ما زال يحيا في «مناخ المهزومين» ، وعبودية «الأتباع» ، ومثل هؤلاء لا يمكن أن يكونوا أداة بعث حضاري جديد ، ولا ممثلين عدولاً لدين الله الحق ، بل لا نغالي إن قلنا أنهم يعطلون مسيرة النهضة الإسلامية الجديدة ، ويفتتون قواها بمثل ذلك التمييع الفكري ، والارتباك المنهجي ، والخواء النفسي.

تمت بعون الله والحمد لله
